الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة المكلفة بما بعد التدرج
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية
Faculty of Humanities and Social Sciences
Deputy Dean in charge of Post-Graduation,
Scientific Research and External Relations

الرقم: 122/ك ع إ إج/ن ت ب ع ع خ/2023 المسيلة في: 14 ماي 2023

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

لجلسة يوم: 15 مارس 2022

بخصوص الموافقة على مطبوعة بيداغوجية

اجتمع المجلس العلمي للكلية في دورته العادية بتاريخ: 15مارس2022. ووافق على المطبوعة البيداغوجية الموجهةلطلبة السنة الأولى-جذع مشترك: علوم اجتماعية، بعد ورود تقارير الخبرة الإيجابية.

- للأستـــــــاذ (ة): بومدين مخلوف
- الرتـــــــــبة: أستاذ محاضر أ
- عنـــوان المطبوعة: مدارس ومناهج.
- الفـئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى – جذع مشترك علوم اجتماعية.

سلمت هذه الشهادة للمعني (ة) بطلب منه (ا) لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون

رئيس المجلس العلمي

الأستاذ: صالحليش
رئيس المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

الدكتور: بومدين مخلوف

جامعة محمد بوضياف – المسيلة.

الرتبة: أستاذ محاضر أ

✉ boumediene.makhlouf@univ-msila.dz ✉

مطبوعة بيداغوجية خاصة بمقياس:

مدراس ومناهج

السنة الأولى:

مسار: العلوم الاجتماعية

2022/2021

✉ boumediene.makhlouf@univ-msila.dz ✉

محاور المقياس

- فهرس الموضوعات:

- مقدمة: (مشهد استشرافي في مسار العلوم الاجتماعية)..... 03

الحقل الأوّل: المناهج المستخدمة في العلوم الاجتماعية

I. العلم والمعرفة وضرورة المنهج: 06
1. العلم: (الماهية)، (الأهمية)، (الخصائص)، (الأهداف)..... 06
2. المعرفة: (الماهية)، (المعرفة الحسية)، (المعرفة الفلسفية)، (المعرفة العلمية)..... 10
3. المنهج: (الماهية)، (الأهمية)، (الخصائص)، (التصنيف)، (المصادر)..... 11
II. المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية الاجتماعية: 20
- المقاربة المنهجية الكيفية. 20
1. المنهج التاريخي. 20
2. منهج تحليل المضمون. 22
- المقاربة المنهجية الكمية. 25
1. المنهج الوصفي. 25
2. المنهج المقارن. 25
3. منهج دراسة الحالة. 29
4. منهج الدراسة المسحية. 29
5. منهج الدراسة التطويرية. 29
6. منهج الدراسة التتابعية. 29
III. العمليات الأساسية في المنهج العلمي: 30
1. الاستقراء 30
2. الاستنباط. 33
3. الفهم 34
4. التصنيف. 35
5. التفسير 35
6. والتحليل والتركيب. 36
7. التجريد. 37
8. التصور 37
9. التجريب. 38

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

IV. العناصر الأساسية للمنهج العلمي: 39
1. المبادئ. 39
2. المراحل. 40
3. الأساليب والوسائل. 41
V. المراحل الأساسية للمنهج العلمي: 41
1. الملاحظة. 41
2. الفرضيات. 42
3. اختبار الفروض 42
4. التعميم (القراءة). 43
VI. مراحل تكون المنهج: 43
1. العصور القديمة. 43
2. العصور الوسطى. 44
3. العصر الحديث. 46
VII. استخدام المنهج العلمي في العلوم الاجتماعيّة والإنسانية: 48
1. المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعيّة والإنسانية. 48
2. المنهج الكمّي والمنهج الكيفي. 50
3. المقاربة الكميّة. 51
4. المقاربة الكيفيّة. 53
VIII. الموضوعية والذاتية: 54
5. التفكير الموضوعي 54
6. التفكير الذاتي. 54

الحقل الثاني: أهم المدارس المنهجيّة الكبرى في حقل العلوم الاجتماعية.

I. المدرسة الإسلاميّة. 58
II. المدرسة الوضعيّة. 65
III. المدرسة الماركسيّة. 70
IV. المدرسة الوظيفيّة. 83
V. المدرسة البنيويّة. 96
- خلاصة. 103
- المراجع. 104

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- مقدمة:

تعد الممارسة المنهجية (la méthodologie)، بمدارسها التحاقلية المختلفة من التواليف النظمية والنظرية التي يرتكز عليها البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، وذلك في بناء وتشكيل الأفكار والتصورات والاستشرافات العلمية للواقع الاجتماعي.

وكحقل اشتغالي معرفي في مسار العلوم الاجتماعية بتعدد تخصصاتها الفاعلة: (علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، علوم التربية، الانثربولوجيا، علم السكان، الارطوفونيا)، وبمدارسها المتنوعة والثرية ومناهجها وأدواتها المختلفة حسب خصوصية مفاهيمها وطبيعة ظواهرها: (الماكرو سياقية، والميكرو نسقية)، يمكن اعتبار: مقياس مدارس ومناهج من بين المقاييس الأساسية التي ترتكز وتتأسّس وتتأطر عليه جميع البحوث العلمية باختلاف المجالات والتخصصات، ومن بين الأهداف العلمية والعملية لمقياس: مدارس ومناهج:

- (الانحياز العلمي وتوظيف المنهج المناسب بهدف فهم وكشف الظاهرة).
- (نفي الذاتية والتخصصية في عملية تأطير الظاهرة).
- (توظيف الأدوات المواءمة بهدف تشريح الظاهرة).
- (تشغيل الأدوات المناسبة والإصغاء لما تقوله الظاهرة).

ويمكن تلخيص المخرجات العلمية والعملية لمقياس: (مدارس ومناهج)، الخاص: بطلبة السنة الأولى مسار العلوم الاجتماعية في الأجنحة العملية والأجنحة المرحلية التالية:

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- **الأعمال المنهجية:** **(استشراف الرصد العملي)**

(القطيعة.La rupture)، (البناء.La construction)، (المعاينة.La constatation)

- **المراحل المنهجية:** **(استشراف الرصد المرحلي)**

(سؤال الانطلاق.La question de départ)، (الاستطلاع.L'exploration)، (الإشكالية. La problématique)، (بناء منهج التحليل.La construction du modèle d'analyse)، (المعاينة.L'observation)، (تحليل المعلومات.Analyse des informations)، (التحقق.Conclusion).

وضمن هذا الرصد الاستشرافي يندرج مقياس **مدارس ومناهج** في العلوم الاجتماعية بتصميم وهندسة منهجية موجه: لطلبة السنة الأولى مسار: العلوم الاجتماعية، حيث يتناول حقلين أساسيين هما:

- **الحقل الأوّل:** المناهج المستخدمة في العلوم الاجتماعية.
- **الحقل الثاني:** أهم المدارس المنهجيّة الكبرى في حقل العلوم الاجتماعية.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

الحقل الأول: المناهج المستخدمة في حقل العلوم الاجتماعية

يرى الكثير من المشتغلين والباحثين أن المحاور الأساسية للعلوم الاجتماعية (الحقول الاشتغالية) تتجسد في ثلاث أبعاد محورية، يسعى إليها الفاعل إلى استشراف: تنظيرات علمية تساعد في فهم وتفسير المجتمع في، بناءه: (سياقاته)، وأجزائه: (أنساقه)، والتي تتمثل في:

1. المعرفة العلمية:

- التصورات والأفكار والتنظيرات التي يتم اكتسابها بأسلوبية دقيقة ومنظمة باستخدام المنهج العلمي.

2. الواقع الاجتماعي:

- الخصوصيات والجوانب الرمزية والثقافية والعقائدية التي تميز المجتمع في منظومة فعله الاجتماعي ونسيجه البنيوي.
- التحولات والرهانات والأزمات المجتمعية الحاضرة والمستقبلية.
- العلاقات والتفاعلات والاندماجات والمشاهد النفسية والاجتماعية والثقافية.
- الأدوار والوظائف الخاصة والمؤسساتية.
- الوقائع الإنسانية والاجتماعية في سياقاتها الجغرافية والثقافية والتاريخية.
- النظام الاجتماعي: (الأنساق والسياقات)، البراديغم: (الماكرو والميكرو اجتماعي).
- الصراع بين الذات والآخر.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- الوعي بالذات والوعي بالمجتمع.
- الأفكار وسلوك الأفراد.

3. الأدوات المنهجية:

- المناهج: (الكمية والكيفية).
- المرتكزات والأساليب الأدواتية (الملاحظة، الفرضية، التجربة)، وممارستها.
- القراءات الاستدلالية والمعالجات المعيارية.

I. العلم والمعرفة وضرورة المنهج:

1. العلم: (الماهية)، (الأهمية)، (الخصائص)، (الأهداف).

أ- ماهية العلم:

يحتل موضوع العلم وبدرجة عالية ومثمنة أكاديميا نموذج مرجعي (paradigme) سائد في العلوم الاجتماعية لفهم واقع الفرد والمجتمع، وهو بحكم هذه الصفة يشمل كل المعارف والنظريات وحقول الممارسات الاشتغالية العلمية، وهو في متناول جماعات منظرين وباحثين وخبراء وممارسين.

من منظور الزخم السوسيولوجي نجد: (ماكس فيبر Max Weber) يعرف العلم: بأنه فعل عقلاني مقابل هدف وفعل علمي مقابل قيمة متمثلة في الحقيقة، [1] وبهذا الرصد يمكن اعتبار العلم أنه يرتكز ويستدل على آليات وأدوات منطقية تهدف في عمومها إلى تحقيق إضافة الكشف عن الحقيقة، وضمن هذا السياق يعرفه أيضا بأنه: يظهر نتيجة جهد موضوعي

[1]- لمياء مرتاض نفوسي: ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية، دار هومة، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2015م، ص.21.

يعتمد على الأساليب الرّاميّة نحو الفهم والتفسير، [1] وبهذا الصرح يمكن اعتبار العلم أنه ينفي الذاتية وأنه يتعامل مع الظواهر في حقل العلوم الاجتماعية كأشياء، (أي أنه يصغي لما تقوله الظاهرة)، كما يعتمد أدوات منهجية علمية مناسبة في تشريح الظاهرة وقراءتها

يعرفه (ألبرت أنشتاين Albert Einstein) بأنه: التفكير المنهجي الذي نوجّههُ نحو اكتشاف الارتباطات التي تنتظم وفقا لها تجاربنا الحسيّة، [2] وبهذه المقاربة يمكن اعتبار العلم خاصية إنسانية تتجسد في أهم الأسئلة النظرية والمعرفية الحسية، قد ترتكز على سرديات بحثية وتنظيرية، وعلى آليات وأدوات بحثية تجريبية معمقة من حيث الكفاءة.

ومن هذا التوليف والتناظر فالعلم كسياق بنيوي: (الجناح المعرفي) (الجناح المنهجي): هو كل الحقائق التراكمية الشاملة، وكل التصورات والمفاهيم والقوانين والنظريات والمبادئ التي تم الوصول إليها عن طريق أساليب البحث العلمي المختلفة: (المرتكزات المنهجية والأدواتية).

وبهذا الصرح المفاهيمي والرصد الاستشرافي للعلم يمكن تحديد هدفه ضمن حقل العلوم الاجتماعية في إضافته المعرفية التي تتمثل في: تأسيس رؤية تسلسلية وخطية للوقائع الإنسانية والاجتماعية، وإدراجها في سياقاتها الجغرافية والثقافية والتاريخية، وفق مرتكزات منهجية وأدواتية تخصصية ودقيقة وهادفة.

ب- أهمية العلم:

ضمن حقل العلوم الاجتماعية بكل تخصصاتها الفاعلة، تتجسد أهمية العلم في حقلين أساسيين هما:

[1]- فضيل دليو: مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار هومة، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2014م، ص.14.
[2]- لمياء مرتاض نفوسي، مرجع سابق، ص 21.

أولا: الحقل المعرفي:

- التغذية بالحقائق التراكمية الشاملة وكل التصورات والمفاهيم والنظريات.
- تجديد الأوعية المفاهيمية ووقاية وعلاج الأزمات المجتمعية وإعادة انتاج الوعي.
- استشراف مشاريع معيارية تساهم في تأطير الفرد والمجتمع.
- تعزيز المعارف والقيم والارتقاء بها وممارستها وتوظيفها في سياقتها التخصصية.

ثانيا: الحقل المنهجي:

- توظيف المقاربات النظرية الأكثر إثراءا للمعرفة ضمن حقل العلوم الاجتماعية.
- إرساء قواعد ومرتكزات منهجية وأدواتية تخصصية دقيقة وهادفة.
- تجديد آليات المعالجة الاستدلالية وممارسة المقاربات العينية التمكينية.
- الارتقاء بالكفاءة المنهجية في دراسة التحولات والرهانات والأزمات المجتمعية الحاضرة والمستقبلية.

جـ- خصائص العلم:

ضمن هذا الاتجاه يمكن تحديد خصائص العلم في حقل العلوم الاجتماعية بكل تخصصاتها الفاعلة في:

- (التطور):

المتابعة المستمرة والإطلاع على مختلف جوانب العلم (المعارف والمناهج)، والتفاعل مع المتغيرات والتحولات المستحدثة وتصحيح المعلومات والحقائق المعرفية والمنهجية للتطورات في حقل العلوم الاجتماعية.

- (التراكمية):

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

(الزخم المعرفي)، كل معرفة علمية جديدة هي امتداد لمعرفة علمية أخرى.

- **(الشمول):**

الشمولية النسبية للحقائق الخاصة بالأنساق والسياقات الجغرافية والاجتماعية والثقافية في مجال العلوم الاجتماعية.

- **(المناهج):**

توظيف المناهج وممارستها ضمن حقل العلوم الاجتماعية من الخصائص العلمية التي تساهم في قراءة ودراسة الرهانات والأزمات: (تأطير الظاهرة).

- **(الأدوات):**

تستخدم في البحوث الميدانية لجمع المعلومات والبيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية.

- **(التأثير والتأثر):**

السياقات الجغرافية والحتميات المجتمعية.

د- أهداف العلم:

- علاج المشكلات واستشراف حلول في مجال العلوم الاجتماعية.
- تأطير المجال الاجتماعي والثقافي والنفسي.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- الارتقاء بالقيم الاجتماعية والإنسانية.
- إرساء قاعدة بحثية أفقية تهتم بالدراسات الأكاديمية في مجال التنظير والتأطير الاجتماعي
- تجديد الأوعية المفاهيمية ووقاية وعلاج الأزمات المجتمعية وإعادة انتاج الوعي.

2. المعرفة: (الماهية)، (المعرفة الحسية)، (المعرفة الفلسفية)، (المعرفة العلمية).

أ- ماهية المعرفة:

حسب الإحداثيات التخصصية العلمية في مجال في العلوم الاجتماعية يمكن أن تعني المعرفة: (ذلك الرصيد الهائل من العلوم والمعارف والمعلومات التي اكتسبها الإنسان من خلال مسيرته الطويلة بحواسه وفكره وعقله)، [1] وبهذا الصرح المفاهيمي يمكن اعتبار المعرفة مجموع المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به، فهي تمثل حصيلة أو رصيد معلومات وخبرة.

ب- (المعرفة الحسية):

هي نتاج وحصيلة مخرجات حواس الإنسان، وهي معرفة في الغالب يمتلكها عامّة النّاس.

ج- (المعرفة الفلسفية):

هي نتاج وحصيلة مخرجات العمليات العقلية للإنسان، ترتكز على التأمل الفلسفي الذي عادة ما يرتبط بمعالجة: (ما ينبغي أن يكون)، لقضايا متنوّعة راهنة.

[1]- حجيلة رحالي، الوجيز في المنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر العاصمة - الجزائر، 2015م، ص 09.

د- (المعرفة العلمية):

بهذا الصرح تختلف المعرفية العلمية حسب الحقول الاشتغالية لكل علم، وقد تستند إلى ما هو تجريبي بالدرجة الأولى وتعتمد آليات علمية كالملاحظة العلمية والتجربة وأيضا صياغة الفروض، وقد تعتمد أسلوبية الاستنباطية والاستقرائية، وفي فضاء العلوم الاجتماعية تبقى المعرفة نسبية ومتغيرة.

(حتمية التجديد والتحيين)

(علاقة الفارق بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية في حقل العلوم الاجتماعية تتجسد في القطيعة الابستيمولوجية)

المعرفة العلمية في العلوم الاجتماعية ليست تلقائية وإنما تتأسس وفق منهجية علمية: (الموضوع، المنهج، الأدوات، التأطير التنظيري)، وهي بهذا الطرح هادفة تساهم في تحقيق إضافة نوعية في حقل اشتغالي تخصصي معين.

3. المنهج: (الماهية)، (الأهمية)، (الخصائص)، (التصنيف)، (المصادر).

أ. ماهية المنهج:

مجال التمعن وبدقة ضمن حقل العلوم في كل اتجاهاتها واختصاصاتها: (العلوم الصحية، العلوم التجريبية، العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم المعرفية)، خاصة منذ بداية القرن 20- يلاحظ أنها قد بلغت شوطا من التطور والتخصص والمهنية والنضج مما جعلها تتبوأ مرتبة النموذج المرجعي الأساسي أو (البراديجم)، ويعتبر علم المناهج ضمن حقل العلوم الاجتماعية من المرتكزات المنهجية والأدواتية الممارسة في فهم وتفسير وتأطير الظاهرة، ومن آليات المعالجة الاستدلالية الأكاديمية لتحقيق المعرفة.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

ومجال التمعن في حقل اللغة العربية نجد أن: المنهج هو الطريق الواضح: طريق نهج: بيّن واضح، وهو: النّهجُ والجمعُ: نهجات ونُهُجُ ونُهُوجُ، وطُرقُ، وسبيل منهج، ومنهجُ الطريق: وضّحهُ، ونجد المنهج في القرآن الكريم الآية رقم 48 من سورة: المائدة (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)، وأنهج الطريق: وضحَ واستبان وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، واستنهج الطريقُ: صار نهجًا، وفلان يستنهجُ سبيل فلان، أي يسلكُ مسلكه، والنّهجُ: الطريق المستقيم كما هو وسيلة مُحدّدة توصلُ إلى غاية معيّنة.[1]

وفي سياق خاص وغامض كتبت الباحثة: (Madeleine Grawitz): (المنهج يتميّز بغموض عادة ما يكون مُبيّن فيما يخص المنهج في معناه المستقى من الميدان)، وفي المقابل نجد: (جان بياجيه Jean Piaget): (لاحظ أنه لا يوجد تخصّص مستقل، كون مشكلات الابستيمولوجيا والمنطق تطرح دائما أسئلة المنهج)، [2] وبهذه الماهية للمنهج يتبين أن الاشتغال الذي ينتمي إليه الباحث: (جان بياجيه Jean Piaget)، هو اشتغال سيكولوجي ينتمي إلى حقل العلوم الاجتماعية، وبالتالي لكل تخصص من هذه الحقول العلمية منهج خاص، كما يمكنها أن توظف أكثر من منهج قصد قراءة وفهم الظاهرة.

ونجد ماهية المنهج عند: (أفلاطون Platon): هو البحث أو المعرفة، وعند: (أرسطو Aristote): هو من القواعد العامة المصاغة من أجل الدخول إلى الحقيقة في العلم، ونجد مفهوم المنهج عند كل من الباحث: (فرانسيس بيكونFrancis Bacon)، والباحث: (رينيه ديكارت René Descartes): هو الكشف عن المنهج المؤدّي إلى البحث

[1]- علي معمّر عبد المؤمن، البحث في العلوم الاجتماعية: الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الطبعة الأولى، 2008، ص.ص 11، 12

[2] - Madeleine Grawitz, Méthodes des Sciences Sociale, Dalloz, cinquième éditions, France, 1981, p.p 18,19.

عن الحقيقة في حالة الجهل بها أو البرهنة عليها للآخرين في حالة العلم بها، [1] وبهذه الماهية الفلسفية يمكن تحديد أهداف المنهج في التفسير أو الفهم.

وباختلاف الانتماءات العلمية نلاحظ تعاريف متنوّعة للمنهج، وهذا حسب كل تصوّر خاص وبما يخدم تخصّصه الاشتغالي، حيث نجد الباحث: (موريس انجرس Maurice Angers)، أحد علماء المنهجية يعرف المنهج بأنه: مجموعة منظمة من العمليات بغية تحقيق هدف، [2] وبهذا التعريف يمكن اعتبار المنهج أنه يرتكز على آليات وأدوات ترتبط بمجال التخصص الاشتغالي بغية تحقيق إضافة معرفية، ونجد: (عبد الرحمان صالح بابكر)، يعتبر أن المنهج: هو فنُّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حيث نكون بها عارفين، أو هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامّة، التي تُهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته، من أجل الوصول إلى نتيجة معلومة.[3]

ونجد الباحث: (عامر مصباح)، يعرف المنهج بأنه: عدّة أدوات استقصائية تستعمل في استخراج المعلومات من مصادرها الأصلية والثانوية والبشرية والمادية، البيئية والفكرية، تنظم بشكل مترابط ومنسّق لكي تفسّر وتشرح وتحلل ويعلق عليها.[4]

---

[1]- علي معمّر عبد المؤمن، المرجع السابق، ص 12.

[2] - Maurice Angers, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines CASBAH- Alger 97/CEC Québec 1996, p58.

[3]- عبد الرحمان صالح بابكر، المختصر في البحث العلمي ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص 56.

[4]- عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2010، ص11.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

وفي تعريف آخر للباحث: (عبد الرحمان بدوي)، أن المنهج هو: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظريّة، وتبعا لاختلاف هذه العلوم تختلف المناهج ولكنها يمكن أن تردّ إلى منهجين، هما: (الاستدلال والتجريب)، ويضاف إليها منهج ثالث خاص: بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية هو منهج: (الاسترداد).[1]

وبهذا الصرح والتناظر يعتبر المنهج: طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع وتصنيف وترتيب وعرض وتحليل وتفسير وتعليل وتركيب للمعطيات النظرية والبيانات الميدانية، بُغية الوصول إلى نتائج عِلمية توظف في السياسات الاجتماعية، بهدف إصلاح مختلف الأوضاع المجتمعية، [2] وبهذا الطرح الشامل يمكن اعتبار المنهج من الأوعية النسقية التي لا يمكن الاستغناء عليها في عملية تأطير الظاهرة في حقل العلوم الاجتماعية.

ب- أهمية المنهج:

في المسار السياقي لأهمية المنهج وضمن كتاب: (مهنة السوسيولوجي Le métier de sociologue)، نجد الباحث: (بيار بورديو Pierre Bourdieu)، يتناول مسألة المنهج المستعمل من طرف الباحث المختص في علم الاجتماع: (إن الهدف المرجو من تطبيق المنهج العلمي بخطواته هو الوصول إلى فهم شامل للعالم الذي نعيش في خضمّه أو لظاهرة ما)[3]، وهذه من ميزات البحث العلمي الذي يحقق عدّة أهداف وهي:

[1]- عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، 1977، ص 06.

[2]- رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص.87.

[3] -Anne Jourdain et Sidonie Noulin, Sociologies contemporaines, La théorie de Pierre Bourdieu et ses usages sociologiques , Armand Colin, Paris, 2012, p20 (Adapté).

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- **(توصيف الظواهر وتصنيفها):**

الهدف الأساسي للبحث العلمي في حقل العلوم الاجتماعية هو توصيف الظواهر أو تصنيفها، ويفرق عادة بين (الوصف)، الذي: يعني طرح ورصد عناصر الظاهرة كما هي دون مُرشد سابق، أمّا (التصنيف)، فيعني: القيام بذلك طبقًا لعناصر أو متغيرات محدّدة سلفا.[1]

- **(التفسير):**

ويرتبط بالإجابة على التساؤل: (لماذا حدث؟)، أي تحديد التغيرات التي أنتجت الظاهرة بالشكل الّذي وصفناها به، ووضعها في إطارها الكبير من خريطة العلاقات بغية الوصول إلى تعميمات ونظريات، وبصفة أخرى تجميع معظم جزئيات الظاهرة في منطق واحد، وفي هذا الصدد يقول: (الكلالدة)، أنّ التفسير هو عبارة عن تقديم دليل توافقي وربط الأسباب بالنتائج والمدخلات بالمخرجات، ومعرفة العلاقة التي تربط المتغيرات مع عناصر الأحداث وأجزائها، والتفسير يحتاج إلى قدرات عقلية وإدراكية وخلفية علمية قادرة على فهم مجريات الأحداث وبواعثها وأسبابها بالإضافة إلى أن الباحث يجب أن تكون لديه القدرة على التحليل وعمل المقارنات ومعالجة الوقائع ببراعة، والباحث في عملية التفسير بحاجة إلى إثبات وجهة نظره وتقديم الأدلة والبراهين المقنعة والعلمية.[2]

- **(التنبؤ):**

ويرتبط بالإجابة على التساؤل التالي: (ماذا سيحدث مستقبلاً؟)، أي بمعنى آخر تصوّر النتائج التي يمكنُ أن تحدث إذا طبق الباحث القوانين التي اكتشفها على ظواهر ومواقف وأحداث جديدة.[3]

---

[1]- رحالي حجيلة، المرجع السابق، ص 24.

[2]- المرجع نفسه، ص 24.

[3]- محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ، 1999، ص 05.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

بهذه الأسلوبية التي تتمثل في: (الوصف والتعليل والتنبؤ)، يمكن للباحث في حقل العلوم الاجتماعية أن يتحكم في الظاهرة موضع الدراسة أو في جزء منها، وهذه هي تقريبًا مميزات البحث العلمي والتي لا تأسيس لها من دون منهج علمي، وتوظيفه بدقة وفعالية وأسلوبية تمكينية.

جـ- خصائص المنهج:

باعتبار المنهج العلمي يتميز بخاصية الجمع بين المنطق والمشاهدات الإمبريقية، وباعتباره مصدر للمعرفة العلمية في حقل العلوم الاجتماعية بتخصصاتها الفاعلة، يمكن إبراز بعض السمات تتمثل في:[1]

- المنهج يفترض نوعًا من الانتظام والتكرار في الطبيعة المحيطة بنا.
- المنهج يُمكّننا من معرفة الطبيعة.
- المنهج يفترض أن الظواهر الطبيعية لها أسباب طبيعية فلا يمكن استخدام المنهج العلمي في تفسير ظواهر ترجع إلى عوامل خارقة للطبيعة.
- المنهج يساعد على تقديم أدلّة للتحقق من صدق المقولات المطروحة.
- المنهج العلمي يتميز بذاتية التصحيح: (يُصحّح ذاته).
- المنهج العلمي يتميز بوجود قواعد واضحة في البحث.
- المنهج العلمي نظامي ومنضبط.
- يساعد المنهج على التراكمية المعرفية.

[1]- عامر مصباح، المرجع السابق، ص 12.

يتميّز المنهج العلمي بخاصية الموضوعية ويبتعد عن الأفكار الذاتية والعاطفية والشخصية، فهو لا يعتمد على الشائعات ولا على مصادر الثقة ولا يتقبل الأفكار مهما كانت قيمتها، إلا إذا أثبتت التجربة صحتها، فكثيرًا من المسلمات التي كان يؤمن بها العلماء على أنها بديهية، أثبتت التجربة العلمية عدم صحّتها.[1]

الحقيقة الثابتة في حقل العلوم الاجتماعية هي التغير، لذلك أهم صفات المنهج العلمي ضمن هذه الحقول هي قابليته للتغيير، فالمناهج ليست أشياء ثابتة على الدوام، حيث يؤكد: (عبد الرحمان بدوي): على الفيلسوف أو المنطقي أن يفهم أن المناهج ليست أشياء ثابتة، بل هي تتغير وفقا لمقتضيات العلم وأدواته، ويجب أن تكون قابلة للتعديل المستمرّ حتى تستطيع أن تفي بمطالب العلم المتجدّدة، وبالتالي لابدّ أن يُعدل على الدوام والنتيجة لهذا فإن المناهج العلمية في تغيّر، وهذا التغيّر يستعين بتغيّر العلم وحاجاته.[2]

وفي سياق العمل بمخرجات علماء المناهج وشروط العلم في مختلف التخصصات، يمكن تحديد الخصوصيات الشرطية للعلم في النقاط التالية:[3]

- أن يتأسس على قاعدة ملموسة: (الموضوع).
- أن يوظف المنهج العلمي: (الملاحظة، الفرضية، التجربة).
- إضافة مخرجات علمية: (القانون، النظرية).

[1]- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلالي، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص47.

[2]- المرجع نفسه، ص49.

[3]- محمد قاسم: المدخل إلى مناهج البحث العلمي، ط1، النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999م، ص.23.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

الفارق بين العلم والفلسفة من حيث المنهج والموضوع:

- من حيث المنهج: العلم يعتمد المنهج التجريبي، والفلسفة تعتمد المنهج التأملي العقلي.
- من حيث الموضوع: العلم موضوعه الظواهر الطبيعية، والفلسفة موضوعها تساؤلات الإنسان باستمرار.
- من حيث النتيجة: العلم نتائجه حقائق وفق فرضيات، والفلسفة نهاية نقاش فلسفي هو بداية نقاش فلسفي آخر.

د. تصنيف المناهج في حقل العلوم الاجتماعية:

الملاحظ أن تصنيفات المناهج تعددت من حيث الخلفية النظرية، ويمكن أن تصنف إلى:

- المناهج المرتكزة على التحليل الكمي للبيانات والدراسات الإمبريقية: (المنهج الوصفي)، (المنهج التجريبي)، (منهج دراسة الحالة)، (منهج المسح الاجتماعي).
- المناهج المرتكزة على التحليل البنيوي والمقارن: (المنهج المقارن)، (المنهج التاريخي).

هـ. مصادر جمع البيانات الميدانية للمنهج العلمي:

1. الملاحظة:

الملاحظة باعتبارها "إحدى أدوات جمع البيانات، وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في جمع البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب ويمكن للباحث تبويب الملاحظة، وتسجيل ما يلاحظه الباحث من المبحوث سواء كان كلاماً أم سلوكاً".[1]

[1]- رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، قسنطينة، 2008م، ص.214.

2. المقابلة:

"تحتل مكانة هامة في البحث السوسيولوجي، وتعتبر من الأدوات الأساسية الأكثر استعمالاً وانتشاراً في الدراسات الإمبريقية وذلك لما توفره من بيانات حول الموضوع المراد دراسته، وتعرف المقابلة بأنها: وسيلة تقوم على حوار أو حديث لفظي مباشر بين الباحث والمبحوثين وهناك نوعين من المقابلة؛ النوع الأول وهو المقابلة الحرة والتي كثيراً ما تستخدم في الدراسات الاستطلاعية والاستكشافية، إذ عادة ما يلجأ إليها الباحث بهدف الاطلاع بعمق على جوانب وخبايا الموضوع والذي يكون غامضاً بالنسبة إليه، أما النوع الثاني فهو المقابلة المقننة وهي عبارة عن دليل يشتمل على قائمة أو مجموعة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيباً منهجياً معيناً، وتتضمن عدة مواضيع فرعية ومقصودة، بمعنى توجه هذه الأسئلة إلى المبحوثين بهدف الحصول على المعلومات والبيانات المنتظرة من البحث".[1]

3. الاستمارة:

"مجموعة أسئلة تُطرح لأفراد عينة البحث، والتي تعطينا إجابات قابلة للعرض والتحليل والتفسير والتعليل والتركيب للوصول إلى نتائج تجيب على تساؤلات الإشكالية، وفرضيات البحث، كما تخدم هدف البحث"، [2] فالاستمارة هي الوسيلة العِلمية والأداة المنهجية التي من خلالها يُمكن التعرف على معلومات وآراء وأفكار المبحوثين.

- **العينة:**

العينة هي مجتمع الدراسة الذي تجمع منه البيانات الميدانية وهي تعتبر جزءاً من الكل، بمعنى أنه تؤخذ مجموعة من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة للمجتمع لتجري عليه الدراسة، فالعينة إذاً هي جزء معين أو نِسبة معينة من أفراد المجتمع الأصلي، ثم تعمم نتائج الدراسة على المجتمع كله.[1] (خصائص حجم عينة الدراسة)

---

[1]- مسعودة كنونة وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 1999م، ص.187.

[2]- رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص.220، 221.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- **القواعد والقياسات الإحصائية:**

تعتبر القواعد والقياسات الإحصائية من أهم أدوات التحليل الإحصائي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما أنها ضرورية لمعالجة البيانات الميدانية إحصائياً.[2]

II. المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية:

إذا أردنا الاشتغال أو معالجة أي موضوع معالجة علمية نجد أنفسنا مقيدين بتوظيف منهج ما، ومن هنا يمكننا القول أن لكل مجال وموضوع منهج يسير وفقه، وعليه فالمنهج عدّة أنواع، إذ اختلف العلماء في تقسيم وتصنيف المناهج التي تنقسم بدورها إلى قسمين: قسم كلاسيكي من إنتاج الفلاسفة وقسم آخر من إبداع العلماء المعاصرين، ومن بين بعض المناهج والأكثر استخداما في حقل العلوم الاجتماعية: المقاربة المنهجية الكيفية، المقاربة المنهجية الكمية.

- **المقاربة المنهجية الكيفية: حقل العلوم الإنسانية**

1. المنهج التاريخي:

- لعلّ من أشهر التخصصات في العلوم الإنسانية علم التاريخ الذي توليه جلّ الدوّل أهمية كُبرى، كونه يرسّخُ هوية وحضارة الشعوب، ومن جهة أخرى لا يمكن فهم الحاضر وتحليله

[1]- رشيد زرواتي، المرجع نفسه، ص.267.

[2]- رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص.226.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

إلاّ بالرجوع إلى حلقات الماضي ومن ثم ظهر المنهج التاريخي من أجل بلوغ هذا الهدف، ومن ضمن معاني المنهج التاريخي أو الاسترادادي: أنه ذلك المنهج "الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعًا لما تركهُ من آثار، أيّا كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية"[1]

يفهم من هذا الكلام أن هذا النوع من المناهج يستعمل لاسترداد أحداث الماضي بما يتوفر من أدوات أو ما يُعرف بالإرث المادي كالمصادر والوثائق والأرشيف، المذكرات الشخصية، المخطوطات أو الإرث اللامادي كشهود العيان أو سير الحياة.

أثناء استخدام هذا المنهج، ولكي تكون الأمور أكثر دقّة وموضوعية، يجب أن تخضع هذه المواد أو الدلائل إلى تدقيق وتمحيص وإعادة نظر في محتواها أو ما يُعرف بالنقد الذي ينشطرُ بدوره إلى شطرين: نقد داخلي وآخر خارجي، لأن التاريخ كمادة أو علم هو عبارة عن سجل يدوّن فيه الأحداث والوقائع الماضية بشكل متسلسل.

العنصر الهام والرئيسي والخاص بأهمية المنهج التاريخي، التي تتضح في الآتي:

[1]- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلالي، المرجع السابق، ص.ص52، 51.

- الكشف عن الأصول الحقيقية للنظريات والمبادئ العلمية وظروف نشأة هذه النظريات بهدف البحث عن الروابط بين الظواهر الحالية والظواهر الماضية وردّها إلى أصولها التاريخية.
- الكشف عن المشكلات التي واجهها الإنسان في الماضي وأساليبه في التغلب عليها والعوائق التي حالت دون إيجاد حلول لها.
- تحديد العلاقة بين الظواهر أو المشكلات وبين البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أدّت إلى نشوئها.[1]

2. منهج تحليل المضمون:

هو أيضا أسلوب أو أداة يستخدم في دراسة بعض المواضيع التي تتطلب تطبيق هذا المنهج، والاهتمام بالمضمون أو محتوى المادة العلمية لا يعني إهمال الشكل أو الجانب الشكلي، فمثلا نجدهُ يسجّل حضوره في حقل علوم الإعلام والاتصال، علم النفس، التربية، كما يشير هذا الأسلوب إلى الوصف الكمّي الموضوعي لأي سلوك مؤثر.

[1]- علي معمّر عبد المؤمن، المرجع السابق، ص280.

حضي هذا النوع من المناهج باهتمام الكثير من الباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية، أمثال الباحثة "فيوليت نافيل موران"، الباحث "مالكوم ويلي"، والباحث "هارولد لاسويل".

هناك الكثير من التعاريف والمواصفات الخاصة بهذا المنهج، حيث يرى " بيلرسون Brelson "أن تحليل المحتوى هو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر للمادة من مواد الاتصال، أما " بول هنري Henry Paul "، فقد حدّد تعريف تحليل المحتوى على أنه مجموعة متداخلة من التقنيات تستعمل أساسًا عند تناول الوسائل اللسانية".[1]

يركّز كثيرا هذا التعريف المزدوج على المضامين أو المحتويات الخاصة بالرسائل التي بدورها تتكوّن على الأقل من مرسل ومستقبل. بعيدا عن هذا الحيّز من التعاريف فإننا نجد هذا المنهج يستخدم كثيرا في "تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة في أي مجتمع في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا النوع من الأبحاث مُفيد بالنسبة لمعرفة عوامل التغير الاجتماعي وردود فعل الناس

[1] -يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007، ص09. (مرجع إلكتروني).

لقرارات القيادة والسياسة، فالتقارير التي تأتي إلى وزارة معينة يمكن دراستها بطريقة موضوعية والتعرّف على آراء الجهات التي تتراسل مع الوزارة المعنية".[1]

بعد عرض بعض التعاريف الخاصة بأشهر الباحثين حول تحليل المضمون ننتقل إلى عنصر آخر هام والذي سيعالج ما له علاقة بوحدات تحليل المضمون والذي يمكن حصرها في خمسة وحدات.

"وحدة الكلمة، حيث يقوم الباحث بتحليل كلمات الشعارات والخطب مثل كلمة عنف أو حريّة، ووحدة الموضوع، ويتمثل في الفكرة التي تتمحور حول مشكلة، ووحدة الشخصية وهي قد تكون خيالية أو تاريخية، وتستعمل في تحليل النّص والسير والتراجم، أما وحدة المفردة فتتمثل في وحدة الطبيعة التي يستخدمها منتج المادة وقد تكون كتابا أو مقالاً أو برنامجًا تلفزيّا. أما آخر وحدة فهي مقاييس الزمن والمسافة، وهي عبارة عن تقسيمات مادية مثل عدد السطور أو الأعمدة".[2]

ولإنجاح هذا الأسلوب يجب على الأقل فهم النّص (الرسالة) فهما جيّدا مع القراءة المتأنيّة وإعادة القراءة إذا ما تطلّب الأمر ذلك تفاديا للوقوع في الأحكام القيميّة والمسبقة.

[1]- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43.

[2]- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، مدخل لمناهج البحوث الاجتماعيّة، المرجع السابق، ص 69.

إشارة أخرى، ولفهم هذا المنهج فهما جيدا قصد العمل به نجري له تطبيقا في الحصص المخصّصة لذلك، لأنّ الجانب النّظري يبقى ناقص وبالتّالي يصير فهمه عصيّا على الطالب.

- **المقاربة المنهجية الكمية: حقل العلوم الاجتماعية**

1. المنهج الوصفي:

- طبيعة الدراسة والأهداف التي تحاول الدراسة الكشف عنها وتحقيقها تطلب نوع المنهج، ويعتبر المنهج الوصفي: "طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع وتصنيف وترتيب وعرض وتحليل وتفسير وتعليل وتركيب للمعطيات النظرية والبيانات الميدانية بُغية الوصول إلى نتائج عِلمية توظف في السياسات الاجتماعية، بهدف إصلاح مختلف الأوضاع المجتمعية".[1]

2. المنهج المقارن:

- في مفهومه المبسّط، هو عبارة عن أداة منهجية تقوم بوظيفة تحديد نقاط التشابه والاختلاف بين موضوعين كالمقارنة بين وسيلتين إعلاميتين في علوم الإعلام والاتصال أو المقارنة بين

[1]- رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عين مليلة، الجزائر، 2007م، ص.87.

ثقافتين مختلفتين في ميدان الأنثروبولوجيا أو المقارنة بين نصّين في ميدان الترجمة وغيرها من المقارنات في شتى الحقول العلمية.

- يتم توظيف هذا المنهج حين غياب قابلية توظيف المنهج التجريبي: (حسب طبيعة الموضوع) وهذا ما يتطلب المقارنة التي هي في الأساس تجريب بطريقة غير مباشرة، حسب وجهة نظر إميل دوركايم.[1]

وبخصوص تاريخ تطبيق هذا المنهج في العلوم الإنسانية "فإن المقارنة لم تصبح راسخة كإجراء تحليلي مركزي في مجال العلوم الاجتماعية إلا منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وهي تعتبر في التراث الفكري المتخصص الأداة المناسبة عندما لا يمكنُ اختيار موضوع التحليل تجريبيًا أو في الظروف التي يكون فيها عدد الحالات قيد الدراسة صغيرًا جدًا بحيث لا يسمح باستخدام التحليل الإحصائي".[2]

- ما يُفهم من هذين النصين أن المنهج المقارن يوظف في حالات دون أخرى وعليه فالظواهر الإنسانية لا يمكن إخضاعها للتجريب أو إعادة بناءها، وفي هذه الحالة نلجأ إلى المقارنة

[1] -Madeleine Grawitz, op.cit, p 434 (adapté).

[2]- فضيل دليو، المرجع السابق، ص 108.

كحل أو بديل من أجل دراسة الظواهر وفق شروط أو مراحل تخص هذا المنهج كأن نطرح بعض التساؤلات.

لماذا نُقارن؟ كيف نُعد مسار المقارنة؟ في أي ظرف نُقارن؟

- باختصار فإن المنهج المقارن قد وُظّف أو استعمل منذ زمن قديم: زمن أرسطو وأفلاطون، يعتبر كأداة أو وسيلة للمناظرة والمناقشة لبعض القضايا من أجل قبولها أو رفضها، وما يهمّ الآن ليس الاهتمام بتاريخ المنهج وأسبقية تطبيقه أو الاشتغال به، بقدر الاهتمام بمسائل أخرى كأهداف المنهج وأهميته والتي تتمثل في:
- القيام بدراسة مقارنة على الظاهرة الاجتماعية أو النفسية أو الإنسانية والتي تتطلب المقارنة ولا تتطلب الوصف أو التجريب أو أسلوب من الأساليب البحثية الأخرى من أجل الوصول إلى حل الإشكال الذي أدّى إلى وجود المشكل.
- إنّ التحليل المقارن يكون طريقا نحو اكتشاف المتغيرات الجديدة في الظواهر التي تظهر للعيان إلا عن طريق التفسير المقارن.

- تساهم المقارنة في توفير درجة عالية من العمومية بواسطة القوانين التي يمكن اكتشافها عن طريق المقارنة.
- إنّ المقارنة طريق مناسب لبيان خصائص الأشياء، وتميّزها عن طريق مقابلتها مع بعضها البعض، وبالتالي فهو منهج جيّد للتحليل والتفسير في ميدان العلوم الاجتماعية خاصّة بالنسبة للموضوعات المعقدة.
- إنّ التحليل المقارن يوظّف أطروحات وآراء الأفراد المبحوثين أو المسؤولين الذين هم في علاقة بالظاهرة موضوع البحث، وإجراء مقارنة بينها،[1] ومن بين أهداف المنهج المقارن التي تمّ الإشارة إليها في بضع النقاط المتسلسلة.
- ومن بين العوائق والمشكلات التي تواجه تطبيق هذا المنهج أثناء معالجة موضوع ما، وهذا حسب ما جاء به الباحث "علي معمّر عبد المؤمن "، وهي كالآتي:
- مشكلة جمع معلومات موثوق بها، ومشكلة وضع أساس موضوعي موحّد للمقارنة.
- مشكلة التعميم، مشكلة الاختيار، ومشكلة التحيّز.[1]

[1]- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، مدخل لمناهج البحوث الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص.ص117، 118.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

3. منهج دراسة حالة:

- دراسة الموضوعات الاجتماعية من خلال تجميع البيانات اللازمة وتحليلها وتطبيقها على الموضوعات والظواهر المشابهة للوصول إلى النتائج.

4. منهج الدراسة المسحية:

- جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها لتصنيفها وتفسيرها للاستفادة منها مستقبلاً، كما تنقسم الدراسات المسحية إلى أربعة أنواع وهي: المسح التعليمي، تحليل الوظائف، تحليل المحتوى، مسح الرأي العام.

5. منهج الدراسة التطويرية:

- العلاقات المتبادلة بين الظواهر مع التركيز على التغيرات التي تحدث بمرور الزمن.

6. منهج الدراسة التتابعية:

- دراسة مجموعة من الأشخاص سبق وأن تمت دراستهم في مرحلة ما.

[1]- علي معمّر عبد المؤمن، المرجع السابق، ص. ص 354، 355.

III. العمليات الأساسية في المنهج العلمي:

باعتبار المنهج هو مسار أو هو وسيلة لتحقيق المعرفة كما أنّه أيضا طريقة للإنتاج العلمي وإعادة إنتاجه، لكن كي تصدُق تسمية علمي على المنهج، يجب أن يضمّ مجموعة من العمليات الأساسية التي تكسبه هذا الطابع وهي كما يلي:

1. الاستقراء:

- من المعاني البسيطة لمفهوم الاستقراء هو الانتقال من الجزء إلى الكلّ، أو من الخاص إلى العام، حيث يشرع الباحث في التعرّف على الجزئيات ثم يقوم بتعميم النتائج على الكل، يعرّف الباحث " موريس أنجرس " الاستقراء بأنّه: "التفكير انطلاقا من ملاحظة الوقائع الخاصة بهدف استخراج معلومات عامة"[1]. للتذكير فقط، فإن موضوع المنهج الاستقرائي قد نال حظ وافرا من الاهتمام من طرف الفلاسفة منذ " أرسطو " وصولا إلى الأبحاث الفلسفية المعاصرة كونه ركن أساسي من أركان الوصول إلى المعرفة العلمية، وحسب الباحثة " رحّالي حجيلة " فإنه لفهم الاستقراء يجب النظر إليه من زاويتين أساسيتين هما:

[1] - Maurice Angers, Op.cit, p 19.

- الزاوية الأولى: "هي التي تنسجم مع المدلول اللغوي للمفهوم، إذ الاستقراء في اللغة هو التتبع، ومن استقرأ أمرًا تتبعه للتعرّف عليه وكشف أحواله. وبناء عليه يصبح المنهج الاستقرائي هو المنهج الذي يتعامل مع الظواهر أو الأحداث ليقوم بوصفها أو تحليلها أو تجريدها بصورة منهجية (أي منظمة) تقوم على فكرة الانتقال من الجزء إلى الكل، أو من العام إلى الخاص، فمثلا إذا أردنا أن نتعرّف على أحد المؤلفات بهدف تقييمه فإننا نجد أنفسنا محتاجين إلى البدء من الجزئيات إلى الكليّات، وأنه يكون من الصعب أن نبدأ بعكس ذلك."[1]

- الزاوية الثانية: وهي التي تتصل بأصول التفكير الفلسفي وبخاصة ما يتعلق منها بفلسفة العلم، ويُعرف بأنّه عملية استدلال عقلية تقوم على إصدار أحكام على الكلّي بالاستناد إلى ثبوت هذه الأحكام في الجزئي، فمثلا إذا وجدنا أن القطعة –أ– من الحديد تتمدّد بالحرارة، وكذلك القطعة –ب–وكذلك القطعة –ج– فإنّه يمكننا أن نخرج بتعميم كلّي مفاده إصدار أحكام وتعميمات على المستوى العام بالاستناد إلى ثبوتها على المستوى الخاص، وهكذا

[1]- حجيلة رحّالي، المرجع السابق، ص 51.

يوصف الاستقراء بأنه عملية استدلال صاعدة يبدأ من الخصائص والقواعد والقوانين الجزئية ليصعد منها إلى صيغ كلية على هيئة قانون عام يحكم جميع الحالات المتماثلة".[1]

إن الاستقراء مهم في الوصول إلى الحقائق العلمية "هذه الحقائق قد نسميها احتمالات في مرحلة النموّ الأولى أو فرضيات في مرحلة النمو الثانية أو نظريات في مرحلة النمو الثالثة أو قوانين طبيعية في مرحلة النّضج الأخيرة وهذا هو الأصل بالنسبة لأهداف الأبحاث الاستقرائية، بيد أن مجال العلوم الإنسانية لا تطمح إلى أكثر من التعرّف على بعض النّظريات القابلة للنقاش أو التعرف على السّمات العامة أو التوجهات العامة للأفراد أو المؤسسات أمّا في مجال العلوم الطبيعية فيكثر أن نصل فيها إلى اكتشاف القوانين الطبيعية".[2]

لم يستعمل المنهج الاستقرائي فقط من طرف الفكر الغربي مع " أرسطو "، و" فرنسيس بيكون " أو "كلود برنار " وأيضا " جون ستوارت ميل " بل حتى من طرف علماء عرب ومسلمين أمثال " أبي حيان التوحيدي "، " ابن الهيثم "، " ابن النفيس "، الإمام " الشّاطبي " و" عبد الرحمن ابن خلدون " رائد علم العمران البشري.

[1]-حجيلة رحالي، المرجع السابق، ص. ص 52، 51.

[2]- سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، الطبعة الثانية، 2010، ص 110. (مرجع إلكتروني).

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

الملاحظ حول هذا المنهج أنه منهج مشترك بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، لكنه كثير التداول في الصنف الأوّل من العلوم: العلوم الطبيعية.

2. الاستنباط:

أيضا من المعاني البسيطة لهذا المفهوم، وهو ذلك الاستدلال الذي ينتقل من الكلّ إلى الجزء أو ينتقل من العام إلى الخاص كما يستند إلى مسلمات أو نظريات ثم يستنبط منها ما ينطبق على الجزء المبحوث، ومن هنا يمكننا القول أن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء. لكن هذا إذا تمّ توظيف العقل البشري توظيفا سليما أو صحيحا وفي هذا يقول الباحث "كمال دشلي ": "إن المعرفة العقلية تعد الحقيقي هو العقلاني، وأنّ كل عقلاني هو حقيقي ويعدّ الحدس الأداة الأساسية في الاستدلال العقلي، التي تُمكن العقل من سبر تطوّر الأشياء والوصول إلى الحقائق عن طريق التفكير المجرّد، وقد تأثر موقف العقلانيين بدقة الاستنباط الرياضي، محاولين تعميم هذا المنهج على جميع نُظم المعرفة".[1]

أيضا لفهم وتحديد هذا المنهج يفترض النّظر إليه من زاويتين أيضا وهما:

[1]- كمال دشلي، منهجية البحث العلمي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حماة، سوريا، 2016، ص 60 (مرجع إلكتروني).

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

- الزاوية الأولى:" وهي التي تنسجم مع المدلول اللغوي، ويعني الاستنباط وفقا لها أنه هو المنهج الذي يعمل على دراسة الظواهر وصفا وتحليلا بالتعامل معها من الكل إلى الجزء ومن العام إلى الخاص، وربما من الأحداث نحو الأقدم في الدراسات التاريخية أو من الأعلى إلى الأسفل في الدراسات البنائية أو المكانية."[1]

- الزاوية الثانية:" وهي التي تستند إلى أصول فلسفية ومنطقية وهي التي يبدأ الباحث خلالها من مقدمات وأحكام كليّة أو عامة ليهبط منها إلى نتائج وأحكام جزئية".[2]

3. الفهم:

إن إصدار الأحكام اتجاه الوقائع والظواهر التي ندرسها لا يمكن أن يتمّ بعيدًا عن الفهم، لذا كان الفهم أحد أهداف العلم المعلنة، والفهم هو اكتشاف طبيعة ظاهرة وتحليل عناصرها وفهم وإدراك وظيفة كل عنصر على حدة، ثم الوصول إلى حقيقة العلاقة القائمة بين وظيفة كل عنصر وعنصر آخر".[3]

---

[1]- حجيلة رحالي، المرجع السابق، ص 53.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

[3]-- الدراجي زروخي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013، ص 29.

4. التّصنيف:

"يبدو أن التّصنيف هو الخطوة التي تلي عملية الفهم، وتصنيف الظواهر هو أحد أهداف العلم التي لا يمكنُ الاستغناء عنها ويقصد بالتصنيف أن تجعل الأشياء أصنافًا وضروبًا على أساس يسهل معه تمييز بعضها من بعض وأن تربط المعاني بحسب العلاقات التي تربط بعضها ببعض".[1]

معناه أن وظيفة التصنيف هي اختزال واختصار الظواهر المتقاربة والمتشابهة في خانات أو فئات خاصة بها.

5. التفسير:

من معاني التفسير أيضا التعليل والمقصود هنا بالتفسير هو تحليل الظواهر والعلاقات كما أنه من أحد الركائز التي يقوم بها العلم من أجل تحقيق الفهم العلمي الصحيح.

وللتفسير شروطه وعناصره وقد بيّنها " ستيفن كول " (S. Kohl) وحدّدها بخمس عناصر وبيّن أن جميع العلوم تؤيّدها وتتمثل في:

- **العنصر الأوّل:** وهو ما نسميه بالمتغيّر التابع، وسيتمثل في الواقعة التي حدثت.

[1]- المرجع نفسه، ص27.

- **العنصر الثاني:** يتمثل في العوامل المسبّبة ويعرف أيضا بالمتغيّر المستقل.

- **العنصر الثالث:** المتغيّر التفسيري ويتعلق بالإجابة عن لماذا أثرت المتغيرات المستقلة في المتغيّر التّابع؟

- **العنصر الرابع:** المتغيّر الوسيط ويدلّ على حالة مميزة من البناء التفسيري"[1]

في سياق ذي صلة يرى الباحث السوسيولوجي " ماكس فيبر Max Weber " أن كل علم إنساني يعمل حاليًا بواسطة التفسير، وقوام هذا التفسير عند " فيبر " يكمن في الطريقة المخصّصة لإفهامنا معنى ونشاط أو ظاهرة ما ومدلول مختلف العناصر بالنسبة إلى بعضها البعض".[2]

6. التحليل والتركيب:

"بمعناهما الأعمّ، هما عمليتا التفتيت العقلي أو الفعلي لكل ما إلى أجزائه المؤلف منهما، وإعادة تكوين الكل من أجزائه ويلعب التحليل والتركيب دورا هاما في عملية المعرفة، وهما يتمّان في كل مرحلة.ومع ذلك فإن هذا النشاط ينشأ ويجري فقط أثناء خبرة الإنتاج الاجتماعي، وعلى أساسها

[1]- الدراجي زروخي، المرجع السابق، ص.ص 28، 29.

[2]-ابراهيم أبراش، المنهج العلم وتطبيقاته في العلوم الاجتماعيّة، دار الشروق للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، 2009، ص33(مرجع الكتروني).

على صعيد العمليات الذهنية يتمّ كل من التحليل والتركيب باعتبارهما منهجية للتفكير يستخدمان التصوّرات المجرّدة ويرتبطان ارتباطًا وثيقا بالعمليات الذهنية الأخرى كالتجريد والتعميم".[1]

7. التجريد:

يشير التجريد بالمعنى الفلسفي إلى الجانب الإدراكي الذي يعزل ذهنيا خصائص الموضوع عن أي موضوع آخر بهدف تجزئة عناصره وعزل جوانبها الأساسية وتحليلها من نواحيها المتعددة وفي صورتها الخالصة، وتنظر المثالية إلى التجريد على أنّه نتيجة لنشاط العقل بعيدًا أو منفصلا عن عالم الشيء أو النشاط العلمي للإنسان ومثل هذا التصوّر للتجريد تأخذ به الوضعية المحدثة والاتجاهات المثالية الأخرى".[2]

8. التصوّر:

التصوّر نشاط ذهني طبيعي للعقل يفترض وجود عالم حقيقي ليتحرّك من خلاله العقل لمعالجة وفهم موضوع ما، دون أن يكون هذا الموضوع بالضرورة حقيقي ولكن المعالجة تبدو حقيقية منتجة

---

[2]- يودين وروزنتال، الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والآكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص114 (بتصرّف).

[2]- عبد الفتاح محمد العيسوي، عبد الرحمن محمد العيسوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، مصر، ص 97.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

قابلة للانتقال بواقعية إلى الوجود الفعلي دون أن تصطدم باللاواقعية أو المحال واللا ممكن، وهنا يمكننا أن نفهم التصوّرات الذهنية على أنها نشاط معرفي للعقل الذي يخترق بقدرة تكيفية وتكوينية عالم الوجود المادي إلى ما هو خارج نطاقه ولكن يرتبط به برابط الإمكان".[1]

يفهم من هذا أن التصوّر عملية ذهنية أو عقلية نهدف من خلالها إلى معالجة موضوع انطلاقًا من إنشاء أفكار وخبرات جديدة.

9. التجريب:

عادة ما يقترن عنصر التجريب بالمنهج التجريبي الذي منبعه الرئيسي العلوم الطبيعية، وفي المقابل ليس مستخدما بشكل واضح في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذا دليل على وجود محدودية في تطبيقه، إذ أحيانا يستعمل في الكشف عن تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع، كما ذكرنا قد يصعب تطبيق هذه التقنية على الوقائع الإنسانية، لكن قد يُعوّض بالمنهج المقارن الذي نراه من جانبنا أنه تجريب بطريقة غير مباشرة.

[1] -www.mahwer.org عباس علي العُلى visité le 06/10/2018 à 13:11 .

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

IV. العناصر الأساسية للمنهج العلمي:

1. المبادئ:

يمكن تسمية هذه المبادئ بالافتراضات أو افتراضات العلم وهي على النحو التالي:

- إنّ منهج البحث العلمي يفترض بأن لكل ظاهرة أو حادثة سبب أو أسباب أدّت إلى ظهورها.
- إن المنهج العلمي يؤمن بأن الظواهر الطبيعية تتصف بالثبات والاطراد ويجعلها تحتفظ بخصائصها ومميزاتها على مدى مدّة في ظروف معينة.
- إن المنهج العلمي يؤمن بأن بعض الظواهر والأشياء والحوادث الموجودة في الطبيعة متشابهة إلى درجة كبيرة ولها خصائص مشتركة أساسية يمكنُ من خلالها تصنيفها إلى فئات وأصناف وأنواع متعدّدة."[1]

[1] -www.manaraa.com /post/2098/.العلمي -المناهج– مبادئ visité le 16/01/2019 à 21 :46.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

2. المراحل:

أو خطوات المنهج العلمي، نخصّ بالذكر هنا بعض المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية أو أكثرها تداولا، كالمنهج التاريخي والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي، فلكلّ منهج من هذه المناهج المذكورة وغيرها خطوات أو مراحل يتّبعها الباحث، إذ يختلف كل نوع عن الآخر شريطة توضيح إشكالية العمل وتأطيرها تأطيرًا جيّدًا والتي تعتبر الرّكيزة أو الرّكن الذي لا يستغنى عنه.

يتعلّق الأمر بخصوص هذا الموضوع بأسلوب التحليل أو ما يُعرف بنوع المقاربة إما مقاربة كميّة أو كيفية، فالأسلوب الأوّل ذو علاقة وطيدة بالبحوث التي تحتاج معطياتها إلى تكميم وعليه في هذه الحال نتعامل مع المعطى العددي أو الرقمي، كما يجب على الباحث أو الطالب في عصرنا الحالي أن يكون مُلمّا ببعض التقنيات الجديدة كالحزمة الإحصائية (spss)، أما الأسلوب الثاني الكيفي فكذلك يستخدم في معالجة مواضيع دون أخرى والتي تحتاج عادة إلى الوصف وما شابه ذلك محاولين الإجابة عن السؤال كيف؟ بدل لماذا؟ الخاص بالأسلوب الأوّل.

3. الأساليب والوسائل:

كثيرة هي وسائل وأدوات جمع المعطيات حسب المنهج المستخدم لإنجاز البحث أو العمل الأكاديمي ومن هذه الجملة من الأدوات نذكر البعض منها كالمصادر والوثائق والاستبيان أو الاستمارة والمقابلة والعينة والملاحظة، بعض الأحيان نحتاج إلى أكثر من وسيلة أو أداة في معالجة البحث الواحد.

V. المراحل الأساسية في المنهج العلمي:

أيضا يضم هذا المحور أربعة عناصر بدءًا بالملاحظة ووضع الفروض واختبارها ثم التعميم.

1. الملاحظة:

وهي أداة من أدوات جمع المادّة العلميّة والمعطيات الميدانيّة ذات تاريخ عريق إذ استخدمها العلاّمة " ابن خلدون " في تمحيص وتدقيق بعض الأخبار المروية لإعطائها سمة الموضوعية "تستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية كما تستخدمُ في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة

أو الوثائق والسجلات والإحصاءات الرسمية أو التجريب"[1] من الأفضل أن نقوم بهذه العملية بشكل منظم. القصد من هذا وضع ما يلاحظ في شبكة ملاحظة التي سجلت في دفتر الميدان.

2. الفرضيات:

يمكننا تعريف الفرضية على أنها "أفكار مبدئية تدرس العلاقة بين الظواهر قيد الدراسة والبحث والعوامل الموضوعية المؤثرة فيها"[2] إن وضع الفرضيات في أي بحث علمي أساسية لا يستغنى عنها وهي المرحلة الثانية التي تلي الإشكالية في البحوث الإنسانية، هي ليست حلا لها، لكن إجابة مؤقتة أو احتمالية يمكن ثبوتها كما يمكن تفنيدها وعلى اختلاف أنواعها فهي تساعد الباحث في هيكلة بحثه وتنظيمه.

3. اختبار الفروض:

"إنّ السمة الأساسية للفرضية هي إمكانية اختبارها وإمكانية إعادة تلك الاختبارات، وغالبا ما يجري تفحصّها من قبل العلماء المختصّين للتأكد من سلامة وصحّة التجربة، وقد تأخذ هذه العملية

[1]- رشيد زرواتي، مرجع سابق، ص 205.

[2]- أحمد عيّاد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 84.

سنوات، وفي الكثير من الحالات لا تمضي الفرضيات بعيدًا في المنهج العلمي لأنه من الصعب جمع مقدار كافٍ من الأدلة الدّاعمة لها".[1]

4. التعميم:

أيضا من خطوات المنهج العلمي عملية التّعميم، كتعميم وحدة على وحدات أخرى، أو تعميم ظاهرة على ظواهر أخرى تكون مشابهة لها أو تحمل نفس خصوصياتها ومن ثم يمكننا القول بأن "عملية التّعميم. تعني في مدلولها المنطقي، جعل الكل يحمل حكم الجزء أو بعض الأجزاء، هو ما يُعرف بعملية الاستقراء النّاقص".[2]

VI. مراحل تكوّن المنهج العلمي:

يمكن تقسيم هذا المحور إلى ثلاثة مراحل زمنيّة أو عصور: العصر القديم والوسيط والحديث وعليه نفصّل هذه المراحل الثلاثة كالآتي:

1. في العصور القديمة:

نشير هنا إلى أشهر الحضارات العريقة التي عرفتها البشرية ومن ثم نشير باقتضاب إلى أهم الإسهامات العلمية التي حملتها هذه الأخيرة كالحضارة الفرعونية والبابلية واليونانية وكذا الحضارة الرومانية والّتي ساهمت في تطوير الفكر العلمي في عدّة مجالات كالطب، الصيدلة، الهندسة، الفلك،

[1]- أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996، ص 61.

[2]- أحمد عياد، المرجع نفسه، ص 13.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

الزراعة، فمثلاً قدماء المصريين برعـوا في مجالي الكيمياء والصيـدلة وفي هـذا السيـاق كتب المؤرّخ " جابلين " "إنّ المصريين كانوا منجمًا اغترف منه الأقدمون العقاقير وأوصافها المذكـورة في أعمـال " ديسقورديس " و" بليني " وغيرهما. كان من الواضح أنها مأخوذة من المصريين القدماء".[1]

بالنسبة لقدماء اليونان وتطويرهم للعلوم والمناهج فنجدهم اهتموا كثيرًا بالمنطق والرياضيات، وفي هـذه الفترة بالذات برع الكثيرين من أعمـدة الفكر اليـوناني على رأسهـم " سقراط " و" أرسطو " و" أفلاطون " و" فيثاغورس " وكذا " ديموقرطيس ".

أما الرومان الذين يعتبرون ورثة المعرفة اليونانية فامتازوا بالعملية أكثر من التنظير أو المتابعة وهذا ما أكدته الباحثة " M. Grawitz " في المرجع السابق حين حديثها عن تطوّر العلوم في العصور القديمة.

2. في العصور الوسطى:

تمتدّ هـذه المرحلة من القرن 08 إلى القرن 16م، وأهـم حدث تـاريخي ميّز هـذه الفـترة هـي الحروب الصليبية.

هـذه الفقرة نفسها جمعت بين نقيضين من ناحية حالة العلوم في البلدان الغربية وفي البلدان الإسلامية. إذ وُجد ظلام دامس في غرب أوروبا ونور ساطع في بلاد المسلمين بالأندلس. حيث

[1]- عبد الحكيم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدّمه، دار المعارف، القاهرة، طبعة 1980، ص 25.

بلغت الحضارة الإسلامية نقطة أوجها من خلال استفادتها من علوم الحضارات السابقة كالحضارة المصرية والإغريقية والرومانية.

"تعتبر الحضارة الإسلامية الحلقة التي أوصلت بين العصور القديمة وبين حضارة عصر النهضة. فلم تكتف الحضارة الإسلامية بنقل معارف الحضارات السابقة لها، بل أضفت عليها طابعًا ذا أصالة علمية. فقد تجاوز الفكر الإسلامي الحدود الصورية لمنطق " أرسطو " المعتمد فيه على المنهج القياسي وخرجوا على حدوده إلى اعتبار الملاحظة والتجربة مصدرًا للبحث العلمي".[1]

ما نفهمه من هذا الاقتباس أن العلماء العرب ساهموا كثيرًا في تطوّر العلوم وهذا بابتكارهم لأساليب جديدة بعيدا عن القياس حيث تمّ استبداله بالمنهج الاستقرائي والمعاينة وكذا التجربة، كما اعتمدوا أيضا في تحليل وفهم بعض النصوص على النقد والتعديل والتجريح مما أدّى إلى خلق أثرًا كبيرًا على العلماء الغربيين، أمثال " روجر بيكون " و" ليوناردو دافنشي " الذين أسّسوا الحضارة الأوروبية الحديثة بناءً على المنتوج الفكري للعلماء المسلمين والعرب ببغداد ودمشق والقاهرة وكذا قرطبة.

[1]- أحمد بدر، المرجع السابق، ص 78.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

بالرغم ممّا قدمه الباحثين المسلمين للعلم والمعرفة، " فمازال التنكر للتراث العربي الإسلامي ودوره في خدمة الحضارة العالمية قائمًا، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة من أهمها: النقص الشديد في علم الباحثين بهذا التراث. فالكثير من المخطوطات العربية العلمية التي تغطي الكثير من مجالات العلم والمعرفة لا تزال دفينة رفوف المكتبات في الشرق والغرب على السواء، بالإضافة إلى ما يعانيه الباحثون في هذا المجال من صعوبات في الحصول على هذه المخطوطات لإجراء الدراسات حولها."[1]

3. في العصر الحديث:

بعد العصور القديمة والوسطى، ظهرت عقيدة جديدة في العلم نتيجة العديد من الاكتشافات القيمة من طرف بعض الباحثين الغربيين – ولو أن السبق كان للعلماء المسلمين من قبل في بعض المجالات – "كقانون سقوط الأجسام من طرف " غاليلي "، اكتشاف الدورة الدموية لـ " هارفي ". قانون جاذبية الهواء لـ " تورشيلي "، نظرية الضوء لـ " نيوتن "، المجهر لـ " برنولي "، واكتشاف الآلة البخارية من طرف " بابن ".[2]

[1]- عبد الباقي أبو زيد، البحث العلمي عبر العصور، ينظر الموقع الإلكتروني boldnews.net بتاريخ 07-05-2019 الساعة 18:31.

[2] - Madeleine Grawitz, op.cit, p44.

بعد هذه المسيرة العلمية الحافلة بالاختراعات والاكتشافات وهذا نتاج تطور المنهج، واصلت النخبة العالمة في تنوير العقل البشري، فخلال القرن الثامن عشر سادت في أوربا النظرية العقلية بين الطبقات المتعلمة وظهر كل من " فولتير " و" رُوسو " وغيرهم محدثين ثورة في العقل البشري لاسيما بعد التعديل الذي أضفته نظرية " انشتاين " لنظرية " نيوتن "، وقد أذهلت الإضافات والتعديلات في النظرية العلمية العلماء أنفسهم وبدأت ملامح عصر العلم تتجلى في نماذج التطوّر الصناعي والتقني".[1]

ففي نفس العصر وبعد المسيرة الكُبرى للعلوم الطبيعية، واستخدام المنهج التجريبي من طرف " فرنسيس بيكون "، نجد مسيرة علمية أخرى برزت من خلالها ميادين جديدة للدراسة كالعلوم البيولوجية والجيولوجية، علم الآثار من خلال اكتشاف الحفريات وكذا علم النفس، علم دراسة شكل الجمجمة، كل هذه المكاسب العلمية أعطت صبغة خاصة للعصر الحديث بما فيه علوم وعلماء القرن التاسع عشر. عصارة القول بخصوص هذا القرن هو عصر العلم والعلماء بامتياز.

[1]- رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارساته الفعلية، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، طبعة سنة 2008، ص 131.

VII. استخدام المنهج العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة:

1. المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعيّة والإنسانية:

أهمية المنهج العلمي الذي لا يُستغنى عنه والذي من شأنه أن ينظم عمل الباحث وفي هذا السياق نعالج محورًا جوهريًا والمتعلق باستخدام المنهج في العلوم الاجتماعية والإنسانية، لكن قبل هذا لا بأس أن نذكر بإحدى الحقائق العلمية حول إمكانية تطبيقه ومصداقيته وهذا مقارنة مع ميدان العلوم التجريبية، إذ لا طالما حاولت الدراسات الإنسانية والاجتماعية أن تقتبس مسارها المنهجي من هذا الميدان، لكن بقي هذا مجرّد مُعطى أو مطلب صعب التحقيق وهذا راجع لعدّة أسباب على رأسها أن الظاهرة الإنسانية أشدّ تعقيدًا من الظواهر الطبيعية القابلة للتجريب. وهذا ما أشار إليه " جون ديوي " في كتابه المعنون بـ "ابستمولوجيا علوم الإنسان"، وفي نفس السياق تقريبًا كتبت الباحثة " يُمنى الخولي " ما يلي: "لكن الفروق النوعية الإنسانية وما قد تختص به من إيقاضات ذاتية حميمية ومثاليات غائية هي التي ربما جعلتها موضع الاهتمام الأكبر منذ الأزمنة البعيدة وجعلتها من

الناحية الأخرى تبدو مستعصية على أصوليات النسق العلمي النّامي حديثا، فتنأى عنهُ، وتختلف عنه مسيرته، وينكشف قصور المحاولات السابقة الجمة عن شروط ما هو علمي".[1]

دومًا ومن باب المقارنة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية أو العلوم الكريمة كما نسميها نحن من جانبنا، فإنّ البعض منهم يُقرّ بأفضلية وشرعية العلوم الطبيعية على الإنسانية كما نوضح ذلك في المحور الخاص بالموضوعية والذاتية، لكن مهما يكن من أمر وبعيدًا عن المقارنة بين حقول العلوم، فمسألة المنهج العلمي ومدى التقيّد والعمل به هو من أساسيات البحث العلمي وليس من كمالياته، حتى أنه في بعض المرّات نجدُ تقاطعًا كبيرًا في بعض المناهج، فمثلا قد يختار الباحث في العلوم الاجتماعية موضوعا حول الخطاب الديني بالمساجد، فيعالجه وفق منهج تحليل المضمون مثلا، كما نجد باحثًا آخرًا في ميدان العلوم الإنسانية يحاول معالجة موضوع ما على شكل ريبورتاج مصوّر حول ظاهرة ما كظاهرة الاتصال عبر مواقع التواصل الاجتماعي فيحتاج أيضا إلى منهج تحليل المضمون بغية تقديم معلومات أدق لكل نص أو جملة أو حتى كلمة كذلك قد تتقاطع المواضيع في العلوم

[1]- يُمنى طريف الخوري، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلّها، مؤسسة هنداوي للعلم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 33. (مرجع إلكتروني).

الإنسانية والاجتماعية في منهج آخر أكثر تداولاً واستعمالاً من طرف الباحث في مختلف المستويات

وهو المنهج التاريخي، ويمكن أن نلخص هذه الأفكار كما يلي:

- ضرورة استخدام المنهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- المنهج العلمي هو القاسم المشترك في مختلف العلوم.
- تقاطع المنهج العلمي الواحد بين العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تستخدم الدراسات الإنسانية مختلف المناهج العلمية بهدف جعل عملية الفهم الظاهرة

الإنسانية والاجتماعية أداة للتفسير.

2. المنهج الكمّي والمنهج الكيفي:

من الوحدات الهامة في هذا البرنامج والذي يكتسب من خلالها الطالب الجامعي عدّة مؤهلات

منهجية، الوحدة الخاصة بالمنهج الكمي والكيفي أو ما يعرف باسم المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية،

هذا الموضوع لا يزال محل نقاش وتدارس بين النخب العلمية إذ من حين لآخر يُنظّم حوله ملتقيات

وندوات علمية من أجل الإحاطة به وكيفية العمل بهذه الأساليب أو المقاربات مع تحيينها بما يتناسب

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

وبعض المواضيع الجديدة، سنحاول في هذا الصّدد التطرق إلى كل المعطيات أو الخصائص التي تميّز النوع الأوّل عن الثّاني في شكل موازنة.

للإشارة فإن هذين النوعين من المناهج أكثر تداولا في العلوم الاجتماعية (بالخصوص علم الاجتماع) "تستخدم المناهج الكميّة في إنتاج بيانات عدديّة أو إحصائيّة، أي يرتبط مفهوم هذا المنهج بالكمّ، ومدى قابلية الظواهر محل الدراسة للقياس، بينما المناهج الكيفية تستخدم بصفة أساسية في إنتاج بيانات حول الخبرات والمعاني الشخصية للفاعلين الاجتماعيين، وتعتمد هذه المناهج في العادة على لغة الفاعل الاجتماعي أو على ملاحظة سلوك الفاعل".[1]

انطلاقا من هذا النص سنشير إلى أهم الفوارق الموجودة بين اللون الأوّل والثاني أو بين المقاربتين أو الأسلوبين.

3. **المقاربة الكمية:** تتعامل المقاربة الكمية مع الأرقام والإحصائيات والنّسب والبيانات... ومن ثمّ فهي تعتمد اعتمادًا كليّا على القياس والكشف عن العلاقة الموجودة بين المتغيرات الخاصة بالظاهرة محل الدراسة.

[1]- طاهر حسو الزيباري، أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011، ص.ص 88، 89.

"إن الغرض من استخدام المناهج الكميّة هي الحصول على حقائق تبين العلاقة بين عدّة متغيّرات على مجموعة كبيرة من الأشخاص تمتدّ من بعض المئات إلى الآلاف سيما عند القيام بعملية سبر الآراء وهذا ما فعله " Durkheim " عند دراسته لظاهرة الانتحار، لمّا ربط هذا الأخير بدرجة انتشار الطلاق في مجتمع ما، معللا ذلك بطبيعة الانتماء الديني للأفراد في مجتمعات أوروبية مختلفة".[1]

- تعتمد المقاربة الكمية بشكل كبير على الأرقام، الإحصائيات، الرسومات البيانية، النسب المئوية، المجسّمات، الجداول، وهذا ما يجعلها أكثر دقة ويقينية من حيث النتائج المتوصّل إليها وبالتالي فالحقيقة موضوعية إلى حدٍ كبير ما يجعلها قابلة للتعميم وهذا أيضا راجع إلى دقة ضبط أداة جمع المعطيات كالعينة، الاستمارة.
- من ميزات المنهج الكمّي أنه مناسب للعديد من العلوم والتخصصات وهذا لتوفّر المعلومات عن الموضوع المدروس وبالتالي سهولة تطبيقه.

[1]- لمياء مرتاض نفوسي، المرجع السابق، ص 42.

4. **المقاربة الكيفية:** أو المقاربة التفسيرية، و" هي مناهج تهدف أساسًا إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، بحصر معنى الأقوال، التي تمّ جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها"،[1] وبالتالي فالهدف هنا هو فهم التأويلات المختلفة وكذا الآراء والخبرات.

- يستخدم هذا النوع من المقاربات في حال وجود ظواهر معقدة تحتاج إلى دراسة انطلاقا من هذا المنهج، ومن ثمّ القدرة على الدخول إلى أعماق الظاهرة.
- الاعتماد على الوصف الناجم عن الملاحظة (شبكة ملاحظة) والكتابة بأسلوب جيد بسيط ومفهوم، عكس المقاربة الكمية التي تعتمد على المعطى العددي.
- الاستعانة بالحوار أو المقابلة أو المقابلة المعمقة (سيرة الحياة) باعتبار أنها أدوات مرنة وبالتالي الاكتفاء ببضع حالات من أجل البحث في الظاهرة عكس المقاربة الكمية أو الوضعية التي تعتمد على العينة (القياس أو التكميم).
- غالبًا ما يُركّز المنهج الكيفي على العمل الميداني، وهذا ما لا يوليه اهتمامًا كبيرًا المنهج الكمي.

[1] - Maurice Angers, Op.cit, p 60.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

هذه بعض الفروقات الموجودة بين المقاربتين، نذكّر ونقول: طبيعة الموضوع هي التي تفرض على الباحث اختيار مقاربة وفي بعض الحالات يحتاج الباحث إليهما معا، كي لا يبقى الموضوع المعالج ناقصًا أو مجرد أرقام وإحصائيات وبالتالي يحتاج إلى فهمها وتفسيرها.

VIII. الموضوعية والذاتية: التفكير الموضوعي والتفكير الذاتي

من المواضيع الشائكة في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية لأن الإشكال يتعلق بكيفية معالجة المواضيع أو الظواهر، كون أن هذا الباحث الذي هو في حقيقة الأمر إنسان: دارسٌ ومدروس في نفس الآن، وبالتالي قد يعالج الباحث الموضوع أو الظاهرة أو الحدث بموضوعية كبيرة وعالية أو ينساق وراء أهواءه وميوله وبالتالي تعتريه ذاتية كبيرة أو ميل وانحياز وهو يعالج الموضوع لتكون النتائج مشبعة بالذاتية وتبعد عن ما هو علمي.

هذا الموضوع الشائك يعود بالأساس إلى تصنيفات بعض العلماء والابستمولوجيين للعلوم والتفاوت في درجاتها وأهميتها، بمعنى أدق: الكثير من هؤلاء النخبة "يشكون أو يستبعدون تماما علميّة

العلوم الإنسانية"[1] وبالتالي هي غير مجدية ونافعة بالمقارنة مع العلوم الطبيعية أو الدقيقة حسب رأيهم وفي هذا السياق أشار " إدغار موران Edgar Morin " إلى العلة في ذلك كما يلي: "إن الفرق بين العلوم النبيلة "Nobles" والعلوم السّفلى "Basses" تعود بكل بساطة إلى اللاّيقينية الكبرى التي تميّز المنهجية والتضارب بين النظريات في العلوم الإنسانية"[2].

في حقيقة الأمر وبعيدا عن هذه التصنيفات والتحيّزات نقول بأن صدق النتائج وموضوعيتها متوقفة على المنهج المستخدم في الدراسة.

"من أهم خصائص المنهج العلمي أنه يتميّز بالموضوعية، ويبتعد عن الأفكار الذاتية والعاطفية والشخصية، فهو لا يعتمدُ على الشائعات، بل يستند على المداخل الموضوعية القائمة على التجارب الواقعية، وذلك بالاستناد لكل التغيرات اللاهوتية والميتافيزيقية. فمضمون الفلسفة الوضعية جعلها تنتقل إلى العلوم الاجتماعية لتتخذ صورا عديدة تتّفق مع نفس الهدف الذي تسعى إليه العلوم

[1] -François Dépelteau, La démarche d'une recherche en sciences humaines, de la question de départ à la communication des résultats, de boeck, p 15 (ouvrage PDF)
[2] - ibid, p 15.

الطبيعية، ألا وهو صياغة القوانين التي تحكمُ وقوع الظواهر، ومن ثمّ فإنّ هذا الهدف يتحقق بمنهج علمي واحد يُطبّق في كافة فروع المعرفة بغض النظر عن الموضوع الذي تناولهُ".[1]

إن التقيّد بالموضوعية مطلب أساسي لمن يودّ معالجة موضوع في شتى الحقول العلمية (القانون، علم النفس، الترجمة، التاريخ)، بالرّغم من وجود بعض العوائق الابستيمولوجية على اختلاف أنواعها والّتي تقف حجرة عثر في وجه الباحث.

"إنّ التفكير الموضوعي ليس أمرًا سهلا، لأنه يتطلّب تدريبًا وتجربة وتحكمًا عاليًا، لأننا تعلمنا وتعودنا أن نستجيب بذاتية وعفوية لسلوك الآخرين، وأن نحكم وأن نقيّم وأن نحب وأن نكره. وقد نكون في موقف ما أكثر موضوعية من الآخر، فالموضوعية هي في النهاية مسألة نسبية".[2]

نقيض الموضوعية هو الذاتية، وهي صفة من يتحلى بها ويعمل بها سواء بطريقة مقصودة أو عفوية بحيث يدرج الباحث ميوله وأهواءه أو يكون عمله مُثقلاً بالأحكام المسبقة والأحكام القيميّة التي من المفروض أن يضع بينه وبينها قطيعة إبستيمولوجية، حيث يعرفها " موريس أنجرس "كالآتي:

[1]- جازية كيران، محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2016، ص.ص 13، 15.

[2]- عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة للبحث والنشر، بيروت، ط 2007، ص21.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

"حتى في العلم الذي يعتبر ميدانا للموضوعية، تتدخل منذ البداية الذاتيّة، لذلك على الباحث أن يتجاوز أبعد ما يمكن أفكاره المسبقة، واستعمال كل الوسائل الموجودة تحت تصرّفه، لكي يتجنب التلاعب أو التدليس وعلى الباحث أن يروض ذاتيته، ويجعل طاقته ومصلحته في خدمة مشروع البحث، بعبارة أخرى لن نكون أبدًا حياديين أمام الحقيقة".[1]

[1] -Maurice Angers, Op.cit, p 12

الحقل الثاني: المدارس المنهجية في حقل العلوم الاجتماعية

سيتضمّن هذا الفصل عرضا لأهم: المدارس المنهجية الكبرى والأكثر توظيفًا في ميدان العلوم الاجتماعية، قد يبدو مفهوم "المدرسة" غامضًا في ذهنية بعض الطلبة المبتدئين، ومن معانيها أنها مذهبا فكريًا أو اجتماعيًا، له أنصار من تلامذة وأحفاد، كما له معارضين، الذين بإمكانهم التقييم أو النقد أو الوقوف مجددًا على بعض النقائص والثغرات التي وجدت في مدرسة ما، وهذا ما يُعرف بحركة التجديد الفكرية، وأحيانا تقوم مدرسة جديدة انطلاقا من نقدها لسابقتها، وهذا لا يتعارض مع تطوير العلوم.

I. المدرسة الإسلامية:

إنّ التفكير الإنساني قديم جدًا، قدم الحضارة الإنسانية، يمكن اعتبار ذلك منذ نزول الوحي على سيدنا آدم عليه السلام، وهذا دليل على تكريم المولى عزّ وجلّ للإنسان بالعقل وبالتالي قدرته على التفكير والتمييز، فوق هذا وحسب المنظور الخلدوني فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، لا يُمكنه العيش إلاّ في جماعة ومع الجماعة وإنتاج علاقات مع بعضهم البعض. كذلك يتّسمُ الإنسان

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

باستعداده الكبير لبناء الحضارة مع غيره من بني البشر بفضل ما ابتكره العقل البشري في شتى التخصصات. "لقد توفر للمسلمين منذ القدم الأسلوب العلمي والمنطقي في البحث، خاصة في مجال العلوم الطبيعية والكيمياء، والطّب والصّيدلة والعلوم الكونية، ويعتبرُ " الفارابي " من المتقدمين في تاريخ تقدّم التفكير، ومن أبرز علماء المسلمين الذين حاولوا أن يؤسسوا منهاجًا لعلم الاجتماع، على الرغم من أنّه تأثر بفكر " أرسطو " و" أفلاطون "، إلاّ أنهُ حاول أن يدمج كل ذلك بالفكر الإسلامي من خلال كتابه المشهور " آراء أهل المدينة الفاضلة "، الذي أقرّ فيه عن بداية الاهتمام بالحاجة الإنسانية إلى الاجتماع والتعاون. بمعنى أن اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان هو ضرورة فطرية واجتماعية، فعندما يتمّ الاجتماع يتحقق التعاون من خلال تقسيم العمل الاجتماعي على أقوام تختص كل فئة بحرفة أو مهنة معينة، ومن ثمّ يتحقق التكامل".[1]

زيادة عن " الفارابي " وفكره القيّم، برزت كوكبة من العلماء الذين كان لهم السّبق والفضل في تأسيس علوم جديدة متنوعة وفوق هذا برعوا فيها كـ " ابن رشد " و" الطّبري " و" جابر بن حيّان

[1]- بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلالي، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2009، ص. ص98، 99.

"، و" ابن سينا "، و" ابن النفيس "، و" ابن الهيثم "، و" الخوارزمي "، دون أن ننسى واضع أسس علم العمران البشري (علم الاجتماع)، العلامة " عبد الرحمن ابن خلدون " الذي سنخصص له حيزًا في هذا الفصل قصد معرفة أهم الأفكار التي حوتها نظريته التي أُسّست من مُنطلق إسلامي محض.

بعد هذا التقديم الذي أشرنا فيه إلى بعض أعمدة الفكر الإسلامي سنسلّط الضوء على إحدى المدارس الإسلامية الشهيرة وهي المدرسة المسمّاة بالمدرسة الخلدونية، نسبة إلى المؤسّس العلامة " عبد الرحمن ابن خلدون " (1332-1406) تلميذ الشيخ " الآبلي التلمساني " رحمه الله.

من الهام أن نعرف الفترة التي عاش فيها العلاّمة " ابن خلدون "، لأنها كانت بمثابة الدّافع المكوّن لفكره الذي صار مصدرًا هامًا لمعرفة أحوال الأمم والحضارات، كيف لا وهو الذي شهد فترة انحطاط العالم الإسلامي الذي كان ينتمي إليه، مُتأملاً هذه الظاهرة ومُحاولاً تفسير هذه الإشكالية، بعد طور العظمة والمجد، مؤسسًا من خلالها الدّورة الحضارية، التي صاغها على شكل قانون اجتماعي حتمي، أي حسب نظره أي دولة تمرّ بثلاثة مراحل وهي: مرحلة الميلاد، مرحلة النّضج، مرحلة الانهيار، (الميلاد والنضج ثم الهرم) إذ شبّه هذه الفترات بأطوار أو أجيال ولكلّ طور مُميّزاته الخاصّة به

مركّزا في هذا على عنصر هام بنى عليه جلّ تفكيره العلم اجتماعي وهو عنصر العصبيّة، هذا المصطلح ورد ذكره في المقدمة أكثر من 500 مرّة، والذي يحمل عدة معاني كالتضامن والتماسك والالتحام والتآلف والتآزر، " فالعصبيّة هي المرحلة الأولى لتكوّن الجماعات السيّاسيّة، وتقوم على التماسك الاجتماعي، إمّا عن طريق العلاقات الدّموية وهي العصبية القبلية وإمّا عن طريق الدّين وهي العصبية الدينيّة، وإما عن طريق الطوائف وهي العصبيّة الإثنية، ويظهر " ابن خلدون " بالنسبة لتاريخ "الدّول" في المغرب العربي أنه كثيرًا ما تندمجُ العصبية القبلية بالعصبية الإثنيّة".[1]

بشيء من التمعن، وبعد اطلاعنا على الفكر الخلدوني يمكنُ القول بأن العصبية هي تلك الرابطة الاجتماعية وكذا النفسية التي تجمع بين كل الأفراد أو أفراد المجتمع الواحد عادة ما ينتمون إلى نسبٍ واحد، بحيث تقوى العصبية في أوقات وتضعف أحيانًا أخرى، وهذا ما يصطلح عليه الأنثروبولوجيون بالنظرية الانقسامية La ségmentarité التي هي ميزة من ميزات بعض المجتمعات المغاربية.

[1]- فؤاد إسحاق الخوري، مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون، دار السّاقي، بيروت، لبنان، 1992، ص 37.

نظرا لقيمة النظرية الخلدونية، نجد تأثرًا بالغًا من طرف بعض الباحثين الغربيين والعرب أمثال كل من: " أرنولد توينبي " و" أوسفلد شبنلغر " وكذا المفكّر الجزائري الراحل " مالك بن نبي ".

نقطة جوهرية في المدرسة الخلدونية وهي علاقة الرّجل بعلم الاجتماع، مع العلم أنه كان هناك تنظيرات من طرف سابقيه من علماء وفلاسفة ورحالة لكن لم يرق الاشتغال بالقضايا الإنسانية وأحوال المجتمع من طرفهم إلى علم وضعي موضوعي، البعض منها كان ممزوجا بالفلسفة، هذه الأخيرة تعالج قضايا تأمليّة أي ما ينبغي أن يكون في حين أن علم الاجتماع يعالج ما هو كائن. من هذا المنطلق نعرّج على مسألة جدّ هامة في مجال علم الاجتماع وأسبقية اكتشافه من طرف العلماء الغربيين أو العلماء العرب. "لقد شكل هذا التساؤل قضية دار حولها الجدل بين مفكري الغرب ومفكري الشرق، فمفكري الغرب يرون أن " أوغست كونت "، " فيكُو الإيطالي "، "كاتليه البلجيكي " أحق بهذا اللقب، لكن علماء الشرق (المسلمين)، وحتى بعض علماء الغرب يرون أن " ابن خلدون " أحق بهذا اللقب، إذ يقول " غاستون بُوتُول " في هذا الشّأن: أنجز " ابن خلدون " مؤلفًا تاريخيًا غير كامل، وكتب كُتبًا عديدة وقعت في الزلل بسبب مبالغتُه في تجزئته لتاريخ شمال إفريقيا

وأسر البربر، ولكن مؤلفه الرئيسي الذي جعله رائد علم الاجتماع هو مقدمة كتابه التاريخي والذي أعطاه عنوان "المقدمة" فقد استعرض فيها جميع الظواهر الاجتماعية المعروفة لديه."[1]

بخصوص علاقة الرّجل بعلم الاجتماع أو اكتشافه لعلمه الجديد الذي أسماه بعلم العمران البشري، فكان ثمرة تجربة شخصيّة، بحيث كان شاهدًا على الأحداث والتقلبات التي طبعت العصر الذي عاش فيه، وبالتالي كان علمُه تطبيقيًا لا نظريًا تأمليًّا، إذ اعتمد على درايته للأمور لا الرواية، كما كان يفعلُ ذلك سابقيه من المفكرين في معالجتهم للمجتمعات وعليه فـ " **ابن خلدون** " منتوج زمانه.

لقد كانت المنهجية العلمية واضحة عند العلماء المسلمين بفضل التحقيقات والاستقصاءات العلمية القائمة على أسلوب التفكير العلمي والدقّة والاستنتاج، وقد سار علماء الإسلام في مختلف فروع المعرفة الإنسانية على هذه الأسس العلمية التي يمرُّ من خلالها التفكير الإسلامي بالموضوعية والأمانة العلمية والبحث عن الحقيقة، ويرى " البيروني " أنهُ على الباحث الاستدلال بالمعقولات

[1]- خالد حامد، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 2012، ص 63.

وقياس الآراء لمعرفة الأسباب المخفية لصاحبها عن الحق كالعادة المألوفة والتعصّب والتظاهر واتباع الهوى والتغالب بالرياسة، فلا يأخذ الباحث إلا ما يوافق العقل. لذلك اعتمد علماء الإسلام الشّك والتجربة في البحث العلمي، حيث أوضحت رسائل " إخوان الصّفا " منهج البحث العلمي في صناعة الفكر، وهذا ما يدل على الاتجاه العلمي لدى مفكري الإسلام."[1] بهذا يكون الفضل أيضا للعرب في تأسيس المنهج العلمي ووضع قواعده إلى جانب تقسيمهم للمعرفة إلى ثلاثة ضروب، معرفة شرعية ومعرفة عقلية ومعرفة تجريبية، وعمومًا احتوى الإسلام جملة من القواعد والضوابط اللاّزمة في طلب العلم، مما جعل منهجية البحث في الإسلام تتميز عن غيرها من المنهجيات الأخرى، خاصة فيما يتعلق بالتلازم بين المنهج والموضوع والتناسب بين المجال المعرفي وإمكانية العمل الإنساني. فالتلاؤم بين المنهج والموضوع هو من أبرز مميزات المنهجية الإسلامية ونجاحها في تحقيق العلم في كل المجالات، حيث أن لكل موضوع من المعرفة منهج يناسبه، فالبحث في الطبيعة واكتشاف القوانين الإلهية في الظواهر الطبيعية يلائمه المنهج التجريبي، والبحث في إثبات الأخبار والروايات يلائمه المنهج التاريخي، أي كل نوع من المعرفة منهج يلائمها، بحيث تتولد المعرفة الصحيحة من تطبيق المنهج

[1]- محمد زيان عمر، البحث العلمي، مناهجهُ وتقنياتهّ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 1983، ص 20.

المناسب لكل مجال من مجالات المعرفة. لذلك فإن عدم مراعاة التناسب بين المنهج والموضوع يؤدي إلى فساد كبير في مجال العلم.

II. المدرسة الوضعيّة:

المدرسة الوضعية أو النزعة الوضعانية من المدارس المنهجية الغربية الشهيرة والتي تزعمها كوكبة من العلماء أمثال: " فرنسيس بيكون " (1561-1626) " سان سيمون " الأستاذ (1760-1825) وتلميذه " أوغست كونت " (1798-1857).

من معاني الوضعية وكما أوضحنا ذلك لطلابنا معنى العلميّة أي ما هو علمي ومنطقي وتجريبي وكل ما يحتكم إلى العقل ولا يُخالفه أو يحملُ تناقضات، لأن العلم لا يقبل بذلك.

في هذا الشأن وحسب وجهة نظر " س. سيمون "، فإن كل علم من العلوم لا يتقيّد بالملاحظة والتجربة يبقى مجرد تخمينات أو علم ظنّي، كما ذكرنا ذلك في المحاور السّابقة، فإن العلوم الإنسانية صارت مثلها مثل العلوم الطبيعيّة أي أكثر مصداقيّة وموضوعيّة، وهذا ما سعى إليه جاهدين أنصار المذهب الوضعي لجعل العلوم الإنسانية علومًا وضعية وذات نتائج دقيقة.

"إن الوضعي من الأشياء ما كان مُتحققا في عالم الحسّ والتجربة، وإذا كانت أسبابه القُصوى وقوانينه التي شرعها الله وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا، فالوضعي مرادف للحقيقي والتجريبي ومقابل للتأملي والخيالي والوهمي، وللإشارة فإن كلمة الوضعية لا تخصُّ " أوغست كونت "، فكما سبق فقد استخدمها من قبل " دافيد هيوم "، و" سان سيمون " قبله، حتى كان " هيوم " رائد للمذهب الوضعي و" أوغست كونت " داعية له".[1]

ما تولّد في نفس فترة التيار الوضعي وإلى غاية القرن التاسع عشر علومًا جديدة، كتخصّص علم النفس، الذي كان شاهدا على ولادته تأسيس أوّل مخبر لعلم النفس في ألمانيا على يد " فُوندت " سنة 1879، والأكثر من هذا، الحث على ضرورة فصل العلوم الاجتماعية عن الفلسفة فصلاً نهائيًا لكي تتّسم بالموضوعية وانتمائها إلى خانة الوضعية.

يقول " ادموند جوبلو " الفيلسوف والسوسيولوجي الفرنسي أنّ : " الوضعية تيارٌ ضخمٌ من الأفكار التي يُعتبر فيها "كونت " مُمثلاً بارزًا وأصيلاً، وهو تيار يتصل منبعهُ بعصر النهضة وكان عليه

[1]- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الموسّعة، مؤسسة الشعب، القاهرة، مصر، الطبعة 02، 1972، ص 1954.

أن يحدث الازدهار الضخم والتسريع للعلوم المعاصرة، لكن القرن التاسع عشر تميّز عن سابقيه بأن التطورات الفكرية أصبحت نظامًا عامًا للتصورات، تهدف إلى دراسة كل الظواهر الإنسانية دراسة علمية، وهي تسعى إلى إيجاد انسجام داخلي وتصوّر وضعي موحد للعالم يقوم على معطيات التجربة وحدها مع إقصاء كل العناصر الميتافيزيقية والتأملات اللاهوتية في التفكير."[1]

إن الميزة الأساسية للنزعة الوضعانية أنها تنظر إلى الظواهر الإنسانية شبيهة بالطبيعية وبالتالي لها قوانينها الخاصة بها التي تتحكم فيها.

كما سلف وأن ذكرنا أن لهذه المدرسة العديد من المؤسسين وسنخصّ بالذكر زعيمين وضعيين، " سان سيمون " و" أوغست كونت "، بلغة الباحث المغربي " عبد الله حمودي "، الشّيخ والمريد Maitres et disciples

بالنسبة لـ " كلود هنري دي روفري "، " سان سيمون " يُعدُّ أحد مؤسسي هذا التيار الذي امتدت جذوره منذ عقود مضت، حيث "بدأت المقاربة الوضعية في مرحلة الفكر الموسوعي الذي

[1]- محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة 01، 1991، ص 42.

عرفهُ القرن 18، واتخذت عند " سان سيمون " طابعا تطبيقيًا علميا وليس نظريًا، مثلما كان سائدًا في المرحلة التجريدية أي العلم النظري المجرّد، ففي القرن 18 طور الفكر الموسوعي آليات تحليل جديدة تقوم على الترابط بين المعرفة والواقع الإنساني لذا سيمثّلُ هذا الفكر مرجعيته " سان سيمون " ".[1] هذا ما جسّده من خلال كتاباته وأبحاثه الميدانيّة بما فيها حق مشروعه حول تسهيل طريق الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي رأى فيه حق مشروع، كذلك كانت له إسهامات وجهود كبيرة في إرساء دعائم الاجتماع الغربي الذي تقريبًا سار على نفس نهجه تلميذه " أوغست كونت " الذي قبل ببعض أفكار أستاذه وعدّل أخرى كما رفض أخرى أيضا، يمكن القول أنه كان أكثر واقعية وموضوعية، وما ساعده في ذلك هو قيام الثورة الفرنسية 1789 التي جعلته يُفكر في علم يُخلّص المجتمعات الأوروبية من المشاكل التي كانت تتخبّط فيها، ليكون بذلك علم الاجتماع الحل الأمثل لهذا الوضع، وعليه كان تفكيره العلمي انعكاسًا للأحداث والفترات الحرجة التي عرفها عصره، كما " تقوم النظرية العلمية لـ " أوغست كونت " على فكرة اللّحمة (consensus) التي تحكم الجسم الاجتماعي (l'organisme social)، وتتمثل في الأسرة كوحدة مجتمعة رئيسية تربط عدّة أفراد

[1]-أكرم حجازي، النظرية الاجتماعية، الموجز في النظريات الاجتماعية، التقليدية، والمعاصرة، منشورات كلية الآداب، اليمن، ص6.

في وحده عضوية متماسكة تتعدّى التجاور والتجمع بين أجزائها، وهذا ما جعله يستبعد الفرد من الدراسة إذ يرى أنه يجبُ الانطلاق من الكل إلى الأجزاء وليس العكس أي من الأسرة إلى الفرد"[1].

دومًا وحول العلاقة التي جمعت " أوغست كونت " وعلمه الوضعي (علم الاجتماع) الذي سمّاه فيما سبق بالفيزياء الاجتماعية فإنّ رؤيته لهُ "كانت رؤية علمية وضعية، وكان ينبغي على علم الاجتماع في اعتقادهِ أن يطبّق المنهجيات العلمية الصّارمة نفسها في دراسة المجتمع، كما هو الحال في الأساليب التي تنتهجها الفيزياء والكيمياء في دراسة العالم الطبيعي وترى المدرسة الوضعية أن على العلم أن يعتني بالكيانات العيانية التي يمكنُ ملاحظتها واختبارها بالتجربة فحسب"[2]، على هذا الأساس، أشار "كونت " إلى مبدأ تساند الظواهر الاجتماعية، معناه أن كل ظاهرة اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقًا بأخرى، بحيث تؤثّر فيها وتتأثر بها وعليه لا يمكن تفسير أي ظاهرة دون اكتشاف القانون الذي يربطها بالظواهر المتفاعلة معها.

[1]- خالد حامد، المرجع السابق، ص 70.

[2]- أنطوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصُياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص 692.

III. المدرسة الماركسية:

لا تزال المدرسة الماركسية، محور اهتمام الباحثين الأكاديميين وفوق هذا لازالت بعض دول العالم تعمل بمبادئ ما يُعرف بالنظام الشيوعي الذي ناضل من أجله "كارل ماركس "منذ سنين طويلة.

"كما أن هناك أقسام الاجتماع والاقتصاد بجامعات أمريكية وغير أمريكية تفرد لأعماله مقرّرات قائمة بذاتها، وانقسم الباحثون في علم الاجتماع بشأنه ما بين مُردّد ومقلّد، وما بين مخالف له على طول الخطّ. بل هناك باحثون اكتسبوا قدرًا من الشهرة لما كتبُوه عنه"[1]

كان "كارل ماركس " شديد الولع بالفلسفة الألمانية منها على وجه الخصوص فلسفتي " هيغل " و" فخته "كما كان مُلّما ومهتما بالسياسة والاقتصاد وكذا الصحافة، كان أيضا مثلهُ مثل " أوغست كونت " يدعوا إلى التغيير، وفي هذا السياق تحضرنا مقولتهُ الشهيرة "ليس مهمّا فهم العالم، بل العمل على تغييره" لكن أفكاره الثورية هذه لم تلقى التّرحيب من طرف السلطة، الأمر الذي دفعه إلى الانتقال إلى بلدٍ يمارس فيه حريته الفكرية بكل موضوعية ونزاهة ومن دون قيود. إذ

[1]- عبد الباسط المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص67، (مرجع إلكتروني).

كانت انجلترا وجهته وفيها التقى برفيق دربه " فريديريك إنجلز " الذي وقف إلى جانبه وشاركه أيضا بعض مؤلفاته: رأس المال. وعن علاقته بعلم الاجتماع الذي أعطاه تسمية: "علم المجتمع" هذا العلم الذي لم يتخصّص فيه منذ بداية تكوينه العلمي، لكن جاء كانعكاس لبعض الأحداث السياسية والاقتصادية التي عاشها المجتمع الأوربي آنذاك، هذا ما جعل البعض من النخبة المثقفة تعتبره كوريث للاقتصاد السياسي الإنجليزي وكذا الاشتراكية الفرنسية التي تمتد جذورها مع التيار الوضعي الذي تزعمه " سان سيمون ". على ذكر هذا التيار الفكري، فبإمكاننا القول أنه ثمة اشتراك وتعاون بين " السانسمونيون " و"كارل ماركس "، خاصة في إنتاج بعض الكتابات العلمية، كما ننوّه في هذا السياق إلى مسألة في غاية الأهمية وهي مسألة زيارة " ماركس " إلى الجزائر، حيث لامسنا توجهين حول نفس الموضوع، الأوّل هو أن زيارته للجزائر كان سببها ظرفه الصحي كون مناخ البلد يساعد على الشفاء والثاني هو أن زيارته للجزائر كانت من أجل العلاج من جهة واغتنامه هذه الفرصة من أجل ملاحظة نتائج النظام الرأسمالي الناجمة عن الهيمنة الاستعمارية الفرنسية في بدايته، بحيث كان

المشروع " السانسيموني " مدعمًا وممهدا لهذا الاحتلال الذي رأى فيها حقا مشروعًا. هذا ما تجسد أيضا في العديد من المؤلفات التي تنتمي إلى حقل الأنثروبولوجيا العسكرية.

دوما وحول علاقة " ماركس " بعلم المجتمع فإن الفكر السوسيولوجي الماركسي يتألف من مكوّنين أساسيين هما: "المادية الجدليّة والماديّة التاريخية Historical matérialisme، ويؤكد رواد هذه النظرية أن المادية التاريخية تمدّ علم المجتمع بإطاره الأساسي، الذي يقدم لهذا العلم إجابة علمية على المسألة السوسيولوجية المعرفية gnosciological الأساسية، وهي مسألة العلاقة بين الوجود الاجتماعي والوعي الاجتماعي، ذلك الوجود الذي تعده المادية التاريخية واقعا موضوعيًا مستقلا عن الوعي وترى الوعي انعكاسًا قد يكون أقل أو أكثر دقة ووضوحا لهُ، وعلى هذا فالمادية التاريخية هي إطار علم الاجتماع العلمي sociology scientific. الذي يدرس القوانين العامة للتطوّر الاجتماعي، وصور حدوثها وتجسداتها من خلال النشاط الاجتماعي التاريخي للإنسان".[1]

[1] - عبد الباسط المعطي، المرجع السابق، ص.ص69، 70.

إن المنهج الدياليكتيكي الذي اشتغل به " ماركس " في أبحاثه ناجم عن تكوينه الفلسفي العميق الذي أعطاها مصداقية وموضوعية، عكس بعض التأويلات الفلسفية التي لا تتماشى وقضايا المجتمع الواقعية، كما يتميّز المنهج الدياليكتيكي الماركسي عن المنهج الميتافيزيقي بأربع مميزات هي كالتالي:

- "أ- النظر إلى الطبيعة بوصفها كُلاّ مُوحدًا ومتماسكا ترتبط فيه الموضوعات والظواهر ارتباطا عضويًا فيما بينها ويشترط بعضها بعضا.
- النظر إلى الطبيعة بوصفها في حالة حركة وتبدّل مستمرين، وتجدد ونموّ لا ينقطعان ، إذ ثمّة دائمًا شيء يولد وينموا وآخر ينحل ويزول.
- ج- النظر إلى سيرورة النمو بوصفها انتقالا من التبدل الكمّي الخفي إلى التبدل الجذري الكيفي، والنظر إلى التبدل الكيفي بوصفه تبدلاً ضروريًا يحصل بقفزات ويسير أبدا إلى الأمام من القديم إلى الجديد ومن البسيط إلى المركّب ومن الأدنى إلى الأعلى.

- د- النظر إلى موضوعات الطبيعة ومظاهرها من زاوية تناقضها الداخلي، أي النظر إلى جانبها السالب وجانبها الموجب، إلى ماضيها ومُستقبلها، إلى ما يختفي فيها ويظهر، لأن مضمون النمو الداخلي هو صراع الأضداد ولأن كل شيء يخضعُ للظروف والزمان والمكان"[1] إلى جانب المنهج الدياليكتيكي فـــإننا نجـد " ماركس " و" إنجلز " وظّفا مناهــج أخرى على غــرار المنهــج المــذكور "كالمنهج الإحصائي في رأس المال وتقنية المقابلة الاثنوغرافية في أصل العائلة والملكيّة الخاصة والدولة (إنجلز)".[2]

ركن آخر جدّ هام في الفكر الماركسي وهو تركيزه على العامل الاقتصادي وهذا منذ تكوين نظرية علم الاجتماع التي بناها انطلاقًا من نقده للنظام الرأسمالي الذي رأى فيه الكثير من العيوب والمساوئ والكثير من العبودية الممارسة على الأفراد الذين وُلدوا في الأصل أحرارًا، ممّا جعلهُ يقف إلى جانب الطبقة المقهورة، طبقة العمال prolétariat مخاطبا إيّاهم بهذه العبارة الشهيرة: يا عمّال العالم اتحدوا، وعليه فالعامل الاقتصادي وحدهُ قادر على إحداث التغيير الاجتماعي وكذلك تحديد

[1]- غازي الصوراني، مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غزّة، الطبعة الأولى، أكتوبر، 2018، ص.ص 32، 33 .

[2] - Madelein Grawitz, Op.cit, p 1241.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

البناء الاجتماعي. وعليه لا يزال العامل المحرّك لكل بلدان العالم خاصّة المتطوّرة، ويزداد أهمية في زمن الأزمات وعليه قسّم ماركس البناء الاجتماعي إلى بناءين:

- البناء الاقتصادي التّحتي: "وهو الأساس الحقيقي الذي يقوم عليه البناء الفوقي، وهو الذي يحدّد طبيعة النظام الاجتماعين، ويطلق على قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج المرتبطة بها البناء الاقتصادي. فأثناء عملية الإنتاج الاجتماعي يدخل الأفراد في علاقات محدّدة وضرورية مستقلة عن إرادتهم وتكون جملة هذه العلاقات البناء الاقتصادي للمجتمع".[1]

هذا النوع من البناء له علاقة بالإنتاج (وحدة وتلاحم القوة المنتجة) على غرار البناء الفوقي الذي يتكون من النظام السياسي والإيديولوجية السائدة وثقافة المجتمع... ويعدُ هذا البناء انعكاسًا للبناء الاقتصادي، أي أنّه متغيّر تابع. فالسّلطة السياسية على سبيل المثال تمثل مصالح الطبقة المسيطرة والمالكة لوسائل الإنتاج، كما أن طبيعة الدّول ذاتها تتشكل حسب طبيعة النظام الاقتصادي

[1]- خالد حامد، المرجع السابق، ص 76.

إذ نقول النظام الإقطاعي، النظام الرأسمالي، النظام الاشتراكي، استنادًا إلى طبيعة النظام الاقتصادي السائد في المجتمع"[1] هذا النوع من البناء المسمى بالفوقي أو العلوي حكرا على النّخبة المثقفة والمالكة لوسائل الإنتاج والتي منطلقها أو مرجعيتها مستمدة من الجانب القانوني والسياسي وكذا الإيديولوجي، لكن في حقيقة الأمر هذه البنية ما هي إلاّ انعكاس للأولى، إذ كما سبق ذكره ما هي إلا متغير تابع وليس مستقل وهذا ما أكده ماركس نفسه إذ يعتقد أن البناء التحتي للمجتمع بكافة مكوّناته هو المحدّد لماهية البناء الفوقي بكافة مكوّناته أيضا، على هذا الأساس فالمجتمع عبارة عن جسدٍ واحدٍ تحرّكه أنساقه المكوّنة له، هذا ما يعرف سوسويولوجيا بالتغير الاجتماعي le changement sociale. زيادة على مفهوم البنية التحتية والفوقية، نشير أيضًا إلى بعض المفاهيم القاعديّة في الفكر الماركسي وهي مفهوم الاغتراب كمفهوم أوّل والايدولوجيا كمفهوم ثاني والصراع الطبقي كمفهوم ثالث.

- **الاغتراب**: أو ما نجده في نصوص أخرى تحت تسمية الاستلاب "هذا المصطلح متعدّد المعاني، لكن مع ماركس المصطلح أخذ معناه السوسيولوجي، وفي مخطوطات 1844

[1]- المرجع نفسه، ص.ص76، 77.

نقرأ: اغتراب العامل لا يعني أن عمله أصبح شيء، وُجود خارجي، لكن عمله يوجد خارج عنهُ، غريبًا عنه وأصبح قوة مستقلة تجاههُ..."[1] فمعناه أن العامل والحالة هذه لا يكون مرتاحًا البتة، بل يشعر بالغُربة وكأن شيء سُلب منه أو أُبعد عنه، وهذا ما كرّسته الرأسمالية من خلال نظامها الاقتصادي، المبني على الاستبداد والاستلاب الذي عرفه العالم والفيلسوف المعاصر إدغار موران Edgar Morin " أنّ الاستبداد هو سلطة تعسفيّة وجامحة لشخص واحد أو عدة أشخاص."[2]

إن الشعور بالاغتراب والاستبداد، حالة تنتاب العامل في خضمّ النظام الرأسمالي ممّا جعل الماركسية تدافع عن هذه الطبقة من أجل رفع الهيمنة والاغتراب عنها في ميدان العمل، لأن العامل في هذه الحالة يعملُ بجهده لتعود الفائدة لغيره، بمعنى آخر العامل هو مصدر الإنتاج وليس الاستغلال وكأنه دراع أو آلة تعمل.

[1] - André Akoun et pierre Ansart, Dictionnaire de sociologie, Edition seuil, Paris, 1999, p15.

[2]- إدغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2009، ص 212 (مرجع الكتروني).

إن مصطلح الاغتراب من منظوره السوسيولوجي لم يبق حبيس النظرية الماركسية بل تخطّاها ليشمل كذلك أعمال المفكّر الألماني " ماكس فيبر " الذي أشار إلى نفس المصطلح ولكن بربطه بالقوى السياسية والاجتماعية للمجتمع، ليعطيه معنى مشابه له وهو "العجز"، أو فقدان المعنى لدى كل من أعمال " مانهايم " و" أدرورنو "، كذلك المطالع لأبحاث " إ. دوركايم " يجد معنى آخر للاغتراب والذي سمّاه بالأنوميا L'anomie التي تعني تلاشي وضعف وفُتور المنظومة القيميّة وكذا المعايير، خاصّة حين طغيان النزعة الفردية على النزعة الجماعية القائمة على مبدأ التضامن والتكافُل.

- الإيديولوجيا: "علم الأفكار، مجموعة من الأفكار، آراء مكوّنة لعقيدة، في معناها المجازي، العقيدة التي تدعوا إلى مثالية غير قابلة للتحقيق، وفلسفيًا هي مجموعة من التمثلات المتلاحمة تعرف الطبقة الاجتماعية من خلالها بنفسها، وبهذا تساهم في الصّراع ضدّ طبقات أخرى، لتُعارض هيمنتها .نتكلم عن الإيديولوجيا البورجوازية، الإيديولوجية العمالية"[1] للتّعليق على هذا التعريف الخاص بمفهوم من الأفكار التي بإمكانها أن توجّه مجموعة من الأفراد أو طبقة بالمفهوم الماركسي، لكنه الملاحظ من

[1] - Dictionnaire Larousse, Librairie Larousse, France, 1988, p 470.

طرف "كارل ماركس " أن إيديولوجية الطبقة الحاكمة تتناقض مع طموحات أو أهداف الطبقة المحكومة خاصة مع المجتمعات العاملة بالنظام الرأسمالي والتي كما سبق وذكرنا تسببت في اغتراب الإنسان وضلّلت أفكاره، ليبقى السؤال مطروحا كيف استفاد " ماركس " من الإيديولوجيا كمفهوم؟

- **الصراع الطبقي**: خصص الباحث " هنري لوفابر " فصلا قائما بذاته حول سوسيولوجيا الطبقات الاجتماعية (الفصل الرابع) في كتابه المعنون بـــ: sociologie de Marx كون "كارل ماركس " حلل هذا المفهوم على ضوء النظام الرأسمالي القائم على التفاوت في الحظوظ والتطلعات وكل ما لهُ علاقة بالرأسمال والثروة.

موضوع الطبقات الاجتماعية والصراع بينها، ثم الإشارة إليه من طرف بعض الباحثين الذين سبقوا " ماركس " لمعالجة هذا المشكل الاجتماعي، حيث مهد " سان سيمون " وأتباعه لمشكلة الطبقات الاجتماعية مما ساهم في إبراز هذه المشكلة لدى " ماركس " والماركسية بحيث تظهر أربع

طبقات اجتماعية استنادًا إلى " أوفربغ " وهي البرجوازية الرأسمالية، البروليتاريا، مُلاك العقارات الذين ينحـــدرون من طبقـــة النبـــلاء الإقطاعيـــة، البرجوازية الصغيرة والتي تضم الصُناع والفـلاحين، لكن " جورج غورفيتش " يؤكد أن ملكية وسائل الإنتاج قد تكون من الآثار المترتبة عن تقسيم المجتمع إلى طبقات بدلاً من أن تكون أساسا للطبقات، وأن الطبقات الأربعة السابقة ليست متميزة السمات إلا بالنسبة إلى حقبة معينة من الرأسمالية التنافسية، وأن مسألة وجود طبقات في أنماط المجتمع لا تزال مفتوحة على مصراعيها. كما أنّ مشكلة الوعي الطبقي والإيديولوجي للطبقة تتطلبُ تحليلاً عميقًا.[1]

زيادة على مشكلة الوعي الطبقي والإيديولوجيا الطبقية اللذان يتطلبان تحليلا عميقًا فكذلك من أجل فهم الصراع الطبقي، فالأمر يتطلب فهما وتحليلاً عميقين، لأن الحياة الاجتماعية مليئة بالتعقيدات والتناقضات وكذا الصراعات تارة داخل المجتمع الواحد وتارة أخرى بين بلد وآخر مما دفع بـ "كارل ماركس " بأن يقول أو يصرح حول هذا السياق بأن تاريخ كلّ المجتمعات ما هو إلاّ تاريخ الصراع بين الطبقات. " لقد استطاع " ماركس " أن يقدّم صورة واضحة للمجتمع الحديث باعتباره يستندُ إلى واقع طبقي. بيد أن العديد من المفكرين قبل " ماركس " قد تنبّهوا إلى ظاهرة الطبقات

[1]- جورج غورفيتش، دراسات في الطبقات الاجتماعية، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 06.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

الاجتماعية والصراع فيما بينها، إلا أن معالجتهم لها ظلت غامضة ولم تستوعب المشكلة على حقيقتها"[1]

- في حقيقة الأمر توجد العديد من التعاريف الخاصة بمفهوم الطبقة إلاّ أن " **ماركس** " يعرفها بأنها: "تجمّع من الأفراد يؤدون ذات الوظيفة في عملية تنظيم الإنتاج."[2]

بخصوص الصراع الطبقي أو ما يُعرف في كتابات أخرى باسم نظرية الصراع، فيمكنُ القول أن " ماركس " من أحد مؤسسي هذا الاتجاه الذي فحواهُ تصادم بين طرفين غير متكافئين أو بالأحرى بين طبقتين تختلف كل واحدة عن الأخرى من حيث المكتسبات في ظل نظام يقر بحرية تملك كل شيء والهيمنة عليه وكأنه حقُ أقرته الشرائع السماويّة.

في خضم هذه الحالة من اللا توافق بين الطبقة العاملة التي تتقاضى أجرًا زهيدًا مقابل عدد ساعات طويلة من العمل وبين الطبقة المالكة التي تملك رؤوس الأموال والثروة، الأمر الذي يُمكنها من الهيمنة على باقي الطبقات ومن ثم فالعداء يبقى مستمر مادام الأمر قائم على استغلال طبقة لأخرى

[1]- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، (د.ط)، 1993، ص 96.

[2]-المرجع نفسه، ص 97.

أو بالأحرى فالطبقة المهيمنة هي جماعات أكثر قوة تستخدم نفوذها من أجل انحلال الجماعات الأقل قوة التي تمثلها الطبقة العاملة (prolétariat) والتي هي في الأصل قوة منتجة وفعالة لا يمكن الاستغناء عنها في كلّ الأحوال.

"خير مثال علمي يصوّر ذلك نجدُه في نظرية ماركس عن الطبقات الاجتماعية، ففي المجتمع الرأسمالي نجد التناقض والعداء بين الطبقة الرأسمالية: المالكة لوسائل الإنتاج، وطبقة العمال المالكة لقوة عملها، فالعلاقة بين الطبقتين هي علاقة تناقض وصراع، لا يمكنُ حلهُ إلا عن طريق الثورة العمالية والإطاحة بالنظام الرأسمالي وإحلال النظام الاشتراكي كعنصر جديد يحلّ هذا التناقض، ومن ثمة فإن الصراع هو عملية تاريخية حتمية فهو الطريق الطبيعي لإحداث التغيرات الاجتماعية والتاريخية "[1].

إنّ الظروف المادية هي التي تصنعُ الجانب العلائقي بين الأفراد، ظروف يشترك فيه الجميع حيث تُفضي إلى تقوية العلاقات فيما بينهم وتجعلهم يفكرون في مخرج وحل لهذا الصراع الذي

[1]- خالد حامد، المرجع السابق، ص77.

يدفعهم إلى الثورة ضدّ من استغلهم لاسترجاع ما سُلب منهم وعليه قد تساهم هذه الثورة في إحداث تغير اجتماعي، يخدم كثيرًا مصالح الطبقات المقهورة.

IV. المدرسة الوظيفية:

تعتبر الوظيفية من المدارس الفكرية الأكثر حظوةً وحضورًا في حقل العلوم الإنسانية، والتي هي ثمرة جهود بعض الباحثين أمثال " هربرت سبنسر " (1820-1903) و" إميل دوركايم " (1858-1917) ثم طُور هذا الاتجاه الفكري مع باحثين آخرين كـ: " تالكوت بارسونز " (1902-1979) و" روبرت ميرتون " (1910-2003)، كما ظهرت الوظيفية أيضا في اتجاهات الأنثروبولوجيون كـ: " رادكليف براون " (1881-1955) و" برونيسلاو مالينوفسكي " (1884-1942) حيث "يرى الباحثون في هذا الاتجاه أن الهدف الأساسي ليس فهم ظاهرة معينة وإنما البحث عن الوظيفة التي تؤدّيها"[1] .و عليه يمكن القول أن هذا الاتجاه الفكري ليس وليد عالم واحد، كما يجب التنويه بمسألة جوهرية في نفس السياق حول هذه النظرية أو المدرسة كذلك أنها لم

[1]- منصور مرقومة، الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) المنهج والموضوع، منشورات مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السّلم ، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، (د.س)، ص 29.

تبق حبيسة علم الاجتماع أو علم الإنسان فقط، لكن تمّ الاشتغال بها وتطبيقها في حقول عملية أخرى كعلم النفس، السياسة وأيضا علوم الإعلام والاتصال، ومن أهم مسلمات الاتجاه الوظيفي ما يلي:

- 1-" النظر إلى المجتمع على أنه نسق مُكوّن من مجموعة من العناصر.
- 2- العناصر داخل النسق الاجتماعي فيما بينها تتبادل التأثر والتأثير بُغية تحقيق حاجات النسق الاجتماعي.
- 3-تأدية العناصر لوظيفتها إنما يكون بهدف المحافظة على استقرار النّسق الاجتماعي وتوازنه.
- 4- أي ظاهرة اجتماعية لا يمكنُ لفهمها بمعزل عن النسق الاجتماعي.
- 5- تفسير الظاهرة الاجتماعية (عبر وظيفتها التي تؤديها داخل النسق الاجتماعي)".[1]

[1]- أحمد عياد، المرجع السابق، ص 49.

يمكن تعريف النسق في مفهومه العام على أنه أي عنصر ضمن نظام ما يؤدي وظيفة ما إلى جانب أنساق أخرى.

هذا التعريف من أجل معرفة العلاقة التي تربط أو تجمع بين النسق والمجتمع، إذ يُمكنُ القول أن العلاقة هي علاقة تكاملية، حيث يتكوّن المجتمع من عدة أنساق أو لبنات تعمل كلها من خلال شبكة علائقية، من أجل المحافظة على ديمومة المجتمع من جهة واستقراره من جهة أخرى وحين وجود نقص أو قصُور في عنصر ما مكوّن للمجتمع يختل المجتمع برمّته أو تختل إحدى وظائفه، فمثلا من المكوّنات الأساسية لهذا، الكل (المجتمع) نجد الأسرة التي تعمل على تحقيق هدف يخدم المجتمع والفرد. وعن كيفية أداء المجتمع لوظائفه، فيرى أنصار المذهب الوظيفي أن المجتمع يعمل بطريقة مُشابهة لما يقوم به باقي الكائنات الحيّة، وهذا ما يُعرف بالمشابهة العضوية أو المماثلة العضوية، هذه المقاربة من تخصص البيولوجيا إذ يُعتبر " هربرت سبنسر " أحد رواد هذا الإسقاط المعرفي لمجالين مختلفين وهذا راجع لاهتمامه بمجال علوم الإحياء والكيمياء قبل اهتمامه بمجال العلوم الإنسانية أي

دراسة المجتمع، الذي رأى فيه شبهًا كبيرًا بينه وبين باقي الكائنات الحيّة، حيث تنمو المجتمعات وكذا الكائنات العضوية في حجمها ومن ثم منها البسيط والمعقد ، الضعيف والقوي.

"يرى الوظيفيين أن المجتمع يعمل بطريقة مُماثلة لقيام الكائن الحي بوظائفه، وهذه النّظم الاجتماعية بدورها تقوم بأداء وظائفها من أجل المصلحة الاجتماعية فقد شبهوا المجتمع بالجسم، بحيث يقوم كل فرد بوظيفته كما يقوم كل جسم بوظيفته، فبإمكاننا فصل بناء المجتمع عن وظائفه لأغراض البحث النظري، لكن البناء والوظيفة لا ينفصلان في الواقع، فالمجتمع يخضع للتنظيم قبل أن يؤدي وظائفه، والمجتمع بطبيعته يتكون من مجموعة قوية والأخرى ضعيفة حيث أن القويّة تسير الضعيفة، والأعلى يأمر الأدنى، ولكل منهما وظيفة يقوم بها في المجتمع".[1]

إنّ البناء والوظيفة لا يمكنُ فصلهما، وعليه نجد المجتمع طورًا في حالة توازن واستقرار وفي حالة اختلال وصراع طورًا آخر. لكن كل البنيات الاجتماعية تحاول أن تعمل جاهدة من أجل المحافظة على انتظامه واستقراره تجنبا لحالة الفوضى والصراع، إنّ الوظيفية حسب رأي " دوركايم " تُعطي

[1]- مصطفى خلف عبد الجواد، نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2009، ص 64.

الأهمية للمجتمع وليس للفرد، بلسان آخر أن الفرد لدى الوظيفيين هو نقطة وُصول وليس نقطة انطلاقة لأن الفرد جزء مكون للمجتمع، هذا الأخير مكوّن من "جماعة من الأفراد الأحياء، وليس مجموعة من الأفكار المجرّدة، وقد وصفه أحد علماء الاجتماع بأنه أكبر جماعة ينتمي إليها الفرد، وهو مُكثّف بذاته، بمعنى أن له رصيدا من الإجراءات والوسائل الخاصة، بالتعامل مع البيئة وإطالة وجوده إلى ما لا نهاية".[1]

نضيف قائلين، أن المجتمع ليس مجرّد تجمّع من الأفراد، بل هو واقعٌ قائم بذاته وما يضمن ديمومتهُ هو تلك الشبكة من التفاعلات التي تجمع هؤلاء الأفراد بعضهم بعضا وكذا عامل التضامن الذي يزيد من تلاحم وتكاثف أفراد المجتمع.

- **إسهامات روّاد المدرسة الوظيفية:**

- **تالكوت بارسونز (1902-1979):**

يعدّ من أحد المفكرين السوسيولوجيين الأكثر تأثيرًا في الساحة العلمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية سنوات الستينات، اشتهر كثيرًا بتطويره لنظرية الفعل الاجتماعي، وأيضا تحليلاته

[1]- محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، 2007، ص 32 (مرجع إلكتروني).

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

السوسيولوجية التي تضمنت مفهوم النّسق الاجتماعي، الذي عرّفهُ على أنه "مجموعة من الفاعلين (الأفراد) الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض، كما يُعرفه بأنه شبكة من العلاقات القائمة بين الفاعلين، وبذلك يركز على أهمية الفاعلين كأساس للنسق الاجتماعي، كما أن العلاقات الاجتماعية (social relations) هي التي تحدّد بصفة أساسية طبيعة النسق سواء كان بسيطًا أو مركبًا ويحتل كل فرد مركزًا أو مكانة اجتماعية مميزة ويؤدي دورًا مُعينا (rols)".[1]

اهتم " بارسونز " بالدّور الوظيفي لكل نسق من الأنساق سواء كان اقتصاديا أو سياسيا أو ثقافيا، لأنها تؤدّي وظيفة معينة داخل المجتمع الواحد وفوق هذا تكمّل بعضها البعض. كما تجدر الإشارة إلى بعض الأفكار الهامة التي بنيت عليها تحليلاته السوسيولوجية والتي سيتمّ ذكرها كالآتي:

- الاعتقاد بأن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الحقيقي لعلم الاجتماع: على علم الاجتماع أن يدرس الأسباب التي تجعل الفرد غير مُندمج.
- التركيز على مفهوم النسق الاجتماعي.
- اهتمام " بارسونز " بالنظم".[2]

[1]- حامد خالد، المرجع السابق، ص 102.

[2]- كريمة صافر، مقدمة في علم الاجتماع، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017، ص 172.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

بعد نشر " بارسونز " لمؤلفه الموسوم "بنية الفعل الاجتماعي" واصل كتاباته السوسيولوجية في إطار ما يُعرف بالوظيفة البنائية ليعد بذلك من أبرز وأهم مُمثلي التحليل الوظيفي البنيوي. ما يُمكن إضافته أيضا في هذا السياق أنّ " بارسونز " نظر إلى الوظيفية البنائية على أنها " تقريب أوّل للنظرية العامة الحقيقية للنظم الاجتماعية، ورأى أنه في مرحلة بلوغ الفهم السوسيولوجي، فإنه سيكون من الأفضل التوجُه مباشرة في نظرية عامة يمكنُ أن تكون رياضية، للنظام الاجتماعي، قدّم العديد من الفرضيات المبسّطة بما يسمح ببناء نموذج واقعي، وإن كان مُصغرًا وهدف التحليل الوظيفي البنائي هو تحديد –أجزاء– بنائية بعينها للنظام الاجتماعي (مثل الأدوار والمؤسسات الاجتماعية) التي لها –أهمية وظيفية–بالنسبة إلى النظام، وترتبط الأهمية الوظيفية نفسها بمشكلتين متمايزتين : العلاقة بين النظام وبيئته (واصطلح على تسميته بالتكيّف) والصلات المتبادلة بين أجزاء النّظام في حدّ ذاته (واصطلح على تسميته بالتكامل)".[1]

- **روبرت كينغ ميرتُون (1910–2003):**

تلميذ " بارسونز "، " ب. سوركين "، هو أيضا مُمثل بارز للوظيفية وحول هذا ذكر " ميرتون " التحليل الوظيفي، بالمرّة أكثر نجاعة ومن دون شك أقل تقنينا للمناهج التأويلية السوسيولوجية"[2] كما نقرأ في كتابات أخرى أن " ميرتُون " هو مؤسس سوسيولوجيا العلم la sociologie de la science أما عن أشهر مؤلفاته العنوان الآتي: النظرية الاجتماعية والبناء

[1]-جون سكون، خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا، المنظرون المعاصرون، ترجمة محمود محمد حلمين، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص.ص77، 78.

[2] - Madelin Grawitz, Op,cit, p 440.

الاجتماعي الذي نشر عام 1949، من المميزات التي يمتاز بها " ميرتون " والتي يشترك فيها مع باحثين آخرين تبنوا الاتجاه الوظيفي في كون أنه جميع العناصر الثقافية وكذا الاجتماعية تؤدّي وظائف معينة (الاجتماعية منها خاصةً) وأن هذه العناصر لا يمكن لأي مجتمع الاستغناء عنها لأن الوظيفة الاجتماعية في حدّ ذاتها تمثل إرضاء للحاجات، لكن هذا التشارك أو الاشتراك مع غيره من الوضعية لم يمنعه من الاختلاف معهم في مسائل أخرى كفكر أستاذه " بارسونز " الذي امتاز بالتنظير بشكل كبير، وعليه يمكننا القول أن أعمال " ميرتون " هي أعمال كلاسيكية حديثة.

حول التيار الوظيفي كذلك، فإن " ميرتون " يعتبر أن الوظيفية تعني " ممارسة تفسير البيانات من خلال تطبيق نتائجها على الأبنية الأكبر التي ترتبط بها، ونشر " ميرتون " عام 1949 عمله الشهير حول التحليل الوظيفي الذي أرسى رؤية مرنة ومراجعة عميقة للوظيفة، تسمح بصياغة مفاهمية للصراع الاجتماعي والتغير الاجتماعي، ولم يؤكد " ميرتون " الوظائف فحسب بل أكد أيضًا المعوقات (dysfonctions) المتنوعة في النظام الاجتماعي، مع ما أطلق عليه متغيّر توازن النتائج الوظيفية الذي يمكن أن يظهر في العلاقات المتوافقة والمتضاربة أيضًا "[1]. بخصوص موضوع الوظائف، فإننا نجد

[1]- جون سكوت، المرجع السابق، ص.ص 356، 357.

" ميرتون " قد صنفها إلى نوعين الأولى سماها بالوظائف الظاهرة والثانية سمّاها بالكامنة وسنشرح في هذا الإطار كل واحدة على حدة.

الوظائف الظاهرة. Fonctions manifestes "و هي الوظائف أو الآثار المقصودة والمعترف بها اجتماعيًا وهي التي يمكنُ ملاحظتها وتسجيلها بصورة سهلة وسريعة، والتي تعكسُ عمومًا أهدافا محدّدة للحفاظ على النسق أو الأعضاء الذين يتشاركون فيه."[1]

الوظائف الكامنة Fonctions latentes: "وهي آثار غير مقصودة وغير معترف بها إلى حدٍ كبير، فالوظيفة الظاهرة للسيارة هي نقل الناس والسلع، وهذا ما يُفكر فيه الناس عند شراء السيارة، إلا أن لها وظيفة كامنة، فهي تمكن الشخص من العُزلة والاستقلالية كما تعبّر عن رموز المكانة، أي أنه لا يمكن أن تظهر بصورة ظاهرة بل منتشرة وغير مقصُودة أو متوقعة (unexpected) والنظام السياسي لهُ وظائف ظاهرة تعمل على الحفاظ على الحقوق والواجبات السياسية للفرد أو لأعضاء التنظيم الاجتماعي"[2]

[1]- خالد حامد، المرجع السابق، ص 103.

[2]- المرجع نفسه، ص.ص 103، 104.

يمكنُ أن نلخّص مضمون الوظيفتين في الآتي: المدرسة كمؤسسة أو بنية تؤدي كلتا الوظيفتين، فمن جهة تشرف على الدّراسة والتعليم للتلاميذ وهذه وظيفة سمّاها " ميرتُون " بالوظيفة الظاهرة أما من ناحية أخرى فالمدرسة تحاول دائمًا غرس وتثبيت هوية المجتمع من خلال ما يتلقاه التلميذ من مدخلات بطريقة غير مباشرة، فالوظيفة الأولى مقصودة ومباشرة أما الثانية فغير مقصودة وغير مباشرة.

بقي لنا في ختام هذا النص حول وظيفية روبرت " ميرتون " "المعتدلة" أنه أشار إلى مسألة في غاية الأهمية والتي سمّاها بالمعوقات الوظيفية أو الاختلال الوظيفي Dysfonctions. ما يشبه تقريبًا الفكرة التي جاء بها إميل " دوركايم " والتي سماها بالتفسّخ الاجتماعي أو حالة الأنوميا L'anomie.

- **إميل دوركايم (1858-1917):**

هو أيضا أحد أهم الأقطاب الممثلة للتيار الوظيفي والمتشبّع بميدان العلوم الإنسانية بمختلف فروعاتها، في بداية مساراته العلمية "تابع محاضرات " فوستيل دي كولانج " المؤرخ، ناقش في سنة

1893 أطروحة للدكتوراه. تقسيم العمل الاجتماعي مُرفقة بأطروحة مُكمّلة حول مساهمة " مونتسكيو " في تأسيس العلوم الاجتماعية، في 1896، سنة من بعد ظهور قواعد المنهج السوسيولوجي. أسّس " دوركايم " الحوليات الاجتماعية، أين نُشرت محاولاته حول تحريم زواج المحارم وأصوله، وفي عام 1897 نشر الانتحار"[1]

بالإضافة إلى هذه الأعمال، هناك أخرى نُشرت تحملُ في طياتها مبادئ المدرسة الوظيفية كالتي نجدها في أطروحته للدكتوراه وكذلك مؤلفه الموسوم بـ " الأشكال الأولى للحياة الدينية " الذي نشر عام 1912م، دون أن ننسى تأثره بفكر " هربرت سبنسر " صاحب مبدأ المشابهة العضوية، التّي منحها " دوركايم " صبغة أكثر اجتماعية، لأن الكلّ هو الذي يخلق الأجزاء أو باقي الأعضاء بالمفهوم البيولوجي، لكن بالمفهوم الاجتماعي فهذا الجزء يمثلهُ الفرد الذي لا يمكن إهماله وإهمال دوره داخل أي مجموعة بما فيها المجتمع ككل، وعن علاقة الفرد بالمجتمع" فيرى الوظيفيين أن المجتمع يشكل الفرد من خلال تأثير مؤسساته مثل الأسرة، ومكان العمل، والفرد هو الذي يتحكم في حياته بدرجة كبيرة ويُسيرها وله قدرة كبيرة في تغيير المجتمع، فالفرد يؤثر في هذا المجتمع، وفي رأي " دوركايم "

[1] - Pierre Bonte et Michel Lzard, Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, P.U.F, Paris, p 206.

بالتحديد أن الفرد هو محطة الوصول وليس محطّة المغادرة ويقصد هنا بأن الفرد هو نُقطة النهاية وليس نقطة بداية"[1]هذا ما يسميه " دوركايم " بالضمير الجمعي الذي يشمل كل ما هو اجتماعي أو مجتمعي (اشتراك أفراد المجتمع في العادات والمعتقدات والعواطف) إلى درجة أنهم تتشابه نفسياتهم في بعض الأحيان كما ذكر ذلك في موضوع التضامن الآلي ومن هذه الزاوية يمكن الحديث عن مفهوم الظاهرة الاجتماعية من منظوره الخاص ولعل من أكثر التعاريف انتشارًا وذيوعًا في الأوساط العلمية السوسيولوجية هو ذلك التعريف الذي وضعه " إميل دوركايم " الذي ينصّ على أن الظاهرة الاجتماعية هي كل ضرب من السلوك ثابتا كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجي على الأفراد، أو هي كل سلوك يعمّ المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية"[2].دومًا حسب التفكير الدوركايمي فإن الظاهرة الإنسانية تنتمي إلى ما هو اجتماعي إذ هي نتاج تفاعل الأفراد فيما بينهم، ولهذه الظاهرة صفات وأنواع وقوانين، ولنا في ذلك مثال عن إحدى الظواهر الإنسانية التي عالجها " دوركايم " من منظور اجتماعي وهي ظاهرة

[1]- مصطفى خلف عبد الجواد، المرجع السابق، ص 66.

[2]- طالب عبد الكريم، كاظم القرشي، الظاهرة الاجتماعية عند إميل دوركايم (تحليل اجتماعي)، http://www.iasj.visté Le 30/07/2020 à 11 :07

الانتحار التي من خلالها كشف الغطاء عن الأسباب الحقيقية التي تدفع بالمرء إلى وضع نهاية لحياته على خلاف ما توصل إليه دُعاة الاتجاه النفسي أمثال (غابريال تارد) الذين نظروا للظاهرة على أن لها مسببات نفسيّة، وذات علاقة بالفرد لا المجتمع. كما أن ظاهرة الانتحار من المنظور الاجتماعي، ولدى " دوركايم " بالخصوص تؤدي وظيفة في المجتمع ولا ينبغي أن يُنظر إليها بأنها موضوع اجتماعي وفقط بل الأصح أن الباحث يعرف الأسباب لفهم الظاهرة مع إمكانية التنبؤ بحدوثها مستقبلاً " قدّم " دوركايم " إسهامًا في بناء التحليل الوظيفي في إطار مدخل الإجماع أو الاتساق العام وباعتبار أن التحليل الوظيفي هو أحد أنماط التفسير السوسيولوجي ، ارتأى "دوركايم " في القواعد التي حددها في منهجِه العلمي لدراسة الوقائع الاجتماعية، أن الباحث السوسيولوجي في تفسيره للظواهر والوقائع الاجتماعية يتعينُ عليه:

- أن يصل إلى معرفة أسباب وعلل حدوث الظواهر الاجتماعية.
- أن يصل إلى معرفة وظائف هذه الظواهر والدور الذي تقوم به في تحقيق تماسك المجتمع، وفي بحثه عن الأسباب والعلل يجبُ على عالم الاجتماع أن يبحث عن الظواهر

والوقائع المسبقة التي أدّت إلى ظهور الظواهر الحالية التي يقوم ببحثها، وفي البحث عن الوظائف يتعيّن عليه البحث عن الحاجات العامة التي تلبيها للكيان الاجتماعي"[1]

على غرار اهتمام علماء الطبيعة بالوقائع الفيزيقية، فـ " دوركايم " سعى جاهدًا لتفسير الظواهر الإنسانية من منظوره الخاص "الاجتماعي" محاولاً التخلّص من مرجعيات أخرى كالبيولوجية أو الطبيعية، إضافة لحرصه على لقيام علم اجتماعي موضوعي أو ما يعرف بعلميّة علم الاجتماع كما ورد ذلك مع " روبرت كينغ ميرتون " و" نُوربرت إلياس "، لكن وفي المقابل هناك من ينظر إلى الظواهر الإنسانية والاجتماعية على أساس أنها بنية.

V. المدرسة البنيوية:

إن الإنسان لا يستقرّ حالهُ إلا في عن طريق شبكة من العلاقات الرّمزية التي هي في الأصل عبارة عن بنيات التي مفردها بنية، ومن ثم جاءت تسمية المدرسة البنيوية التي تحمل طابعا خاصّا وأهمية كبرى رغم غموض بعض مفاهيمها أحيانًا لدى القارئ وعن أصول المنهج البنيوي، "فظهرت

[1]- عبد الله شلبي، علم الاجتماع، الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، 2008، ص 115 (مرجع إلكتروني).

البنيوية في بداية الأمر في علم اللغة وبرزت عند " فردنياند دي سوسير " الذي يعدُّ الرّائد الأوّل للبنيوية اللغويّة عندما طبّقت المنهج البنيوي في دراسة اللغة، واكتشاف مفهوم البنية في علم اللغة، دفع " بارت " و " تودوروف " وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب"[1]

يمكن القول بأنه يرجع الفضل إلى تطوّر الدراسات اللغوية أو اللسانية التي عززت ظهور هذا الاتجاه المعرفي "كما تطعمت الحركة البنيوية من حيث الطرح المعرفي والمنهجي والإيديولوجي ببعض ما توصلت إليه الحركة الشكلانية الروسية في أبحاثها الإنسانية ونخصّ بالذكر في هذا الصدد أعمال أحد الأقطاب البارزة في هذه الحركة وهو الفولكلوري " فلاديمير برُوب " بأبحاثه القيمة بمجال الأدب الشعبي عامة والحكاية الخرافية خاصة، وذلك بفضل كتابه الشهير والذي أحدث به ثورة معرفية ومنهجية في مجال الدراسات الفلكلورية الروسية والعالمية، وهو كتاب " مورفولوجية الحكاية الخرافية "، وبصورة عامة فإن البنيوية وجدت في الدراسات اللسانية وفي الحركة الشكلانية الأرضية الخصبة، حيث استلهمت أطروحات اللسانيين والشكلانيين واستفادت من نتائج دراساتهم في المجالات اللغوية

[1]- ثامر إبراهيم محمد المصاورة، البنيوية بين النشأة والتأسيس، دراسة نظرية، مكتبة صيد الفوائد، 2004، ص 13.

والأدبية خاصة"[1] تجدر الإشارة في هذا المستوى أن المنهج البنيوي لم يبق حبيس علم اللغة بل تخطّى الأمر ذلك إلى تخصصّات أخرى حيث نجد الأعمال البنيوية حاضرة في أعمال الفيلسوف " ميشال فوكو Michel Faucault " (1926-1984) وأيضا لدى المحلل النفساني " جاك لاكان Jacques Lacan " (1901-1981) " رولان بارث Roland Barth " (1915-1980) في ميدان الأدب.

دون أن ننسى الأعمال التي اشتهر بها "كلود ليفي ستروس Claud Levis Strauss " (1908-2009) في مجال الأنثروبولوجيا، على ذكر هذا التخصص، يعتبر "كلود ليفي ستروس " بأن " مرسيل موس "، مساعد " دوركايم " الحميم، هو المعلم الأوّل للبنيوية الأنثروبولوجية (أو الإناسة) لأنه فتش بالأخص في دراسته عن الهبة واكتشف تفصيل التفاعلات التحويلية"[2]

- **البنيوية: تحديد المفهوم:**

بخصوص الأصل اللغوي لمصطلح بنية فهو "مشتق من الكلمة اليونانية structure والتي تعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها بناء ما، ثم امتدّ مفهوم ومعنى الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في

[1]- محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 77.

[2]- جان بياجي، البنيوية، ترجمة عارف مُنيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الرابعة، 1985، ص 81.

boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

مبنى ما من وجهة النّظر الفنيّة المعمارية، وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي وتشير المعاجم الأجنبية على أنّ فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر. [1]

كذلك نجد كلمة بنية في لغتنا العربية تعني "كل ما هو أصل فيه وجوهري، وثابت لا يتبدل بتبدّل الأوضاع والكيفيات."[2]

بعد التعريف الأوّل، جاء الثاني ليؤكد أن البنيوية تُعتبر الأصل أو الجوهر الذي بطبيعة الحال يحمل العديد من الدلالات الأكثر ارتباط مع ما هو واقعي وهذا ما نصّ عليه التراث الفلسفي القديم، كأعمال " إيمانويل كانط " وتفكيره العقلاني.

البنية في مفهوم آخر هي " طريقة تنظيم مجموعة من المصطلحات أو العناصر، في شكل نسق وبشكل مُستقل عن طبيعة هذه العناصر يمكن لهذه العناصر أن تكون ظواهر إنسانية متماسكة ومُتناسقة مع بعضها البعض ومكمّلة لأخرى مشكّلة بذلك بنية متماسكة الأجزاء، وعن أهمية التفكير البنيوي فيرى " فُولكييه Foulquie ": " أن الدراسات والبحوث في مجال العلوم الإنسانية

[1]- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة للنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1980، ص 175.

[2]- مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر، 1987، ص 11. (مرجع إلكتروني).

ينبغي لها أن تنشد الطريقة البنيوية، بمعنى توضيح الموضوع الذي تودّ دراسته بوضعه داخل البنية، حيث كان موحدًا ومتضمنا من قبل".[1]

- أبرز المفكرين البنيويين:

هناك كوكبة من المفكرين الذين تبنوا الفكر البنيوي في أعمالهم وأبحاثهم العلمية، وسنذكر البعض منهم كالآتي مُرتبين حسب التسلسل الزمني:

- فرديناد دي سوسير (1857-1913):

" دي سوسير " المؤسس الحقيقي للحركة البنيوية الحديثة وبخاصة من خلال كتابه الهام: دروس في الألسنية العامة cours de linguistique générale الذي صدر سنة 1916 م والذي ضمنه دراسة علمية بنيوية مستفيضة فصل فيها بين اللغة والكلام، بحيث تصبح اللغة بحسبه نسقا من العلاقات منظمًا وعضويًا، هذه العلامة تتكون من صورة صوتية في (الدال) وتصوّر ذهني هو (المدلول) وفي هذا المعنى يقول لبيان أن اللغة لا يمكن أن تكون إلا منظومة من قيم مجردة يكفي

[1]- عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط03، 2010، ص.ص21، 22.

الأخذ في الحسبان اعتبار العنصرين الذين يشاركان في وظيفتهما وهما الأفكار والأصوات ، فكل شيء إنما يتمّ بين الصورة السمعية والتصوّر وذلك ضمن حدود الكلمة مقدرة كمجال مُغلق موجود في ذاته".[1]

ما نفهمه من هذه الفقرة حسب " دي سوسير " هو أن اللغة كيان أو بنية مستقلة كونها مكونة من مجموعة من الإشارات، وهي أيضا فعل اجتماعي لها وقع أو ردة فعل على المتلقي لتجد دراسات أو دروس " دي سوسير " تأثيرًا كبيرًا على ميدان العلوم الإنسانية بصفة عامة. تواصلت بعد هذا جهود علماء اللسانيات وتطوّرت الدراسات اللغوية تطورًا كبيرًا مع إسهامات الرّوس مثل " جاكوبسن " و" تروبتكسوى " و"كارشنسكي " وكذلك إسهام الفرنسي " إميل بنفنبست " والأمريكي " بلومفيلد " إضافة إلى علماء آخرين مشهورين مثل " تشومسكي " و" هلمسالف".[2]

- **جاك لاكان (1901–1981)**

اسمه الكامل " جاك ماري إميل لاكان "، محلل نفساني فرنسي عاد إلى " فرويد " من خلال أفكاره البنيوية وطريقته في التشخيص إلا أنه أدخل على النظرية الفرويدية في التحليل النفسي العديد

[1]-عمر مهيبل، المرجع السابق، ص 26.

[2]- المرجع نفسه، ص.ص 26، 27 (بتصرّف).

من التعديلات فمثلاً الأقسام الثلاثة التي جاء بها " فرويد " في نموذجه البنيوي (الأنا والأنا الأعلى والهو) يقابلها عند جاك لاكان الآتي (الحقيقي والرمزي والخيالي) وللإشارة فقط فإن المدارس المعاصرة لـ " جاك لاكان " اهتمت بالخيالي وأهملت الرمزي، وبالتالي هذا العمل المقدم من طرف " لاكان "، كان بمثابة التصحيح.

"لقد دعا " لاكان " بحماسة إلى العودة إلى " فرويد "، إلى فهمه فهما صحيحًا، وعدم تشويه مبادئه، وبالرغم من أن " لاكان "كان يلاحظ بأن أتباع " فرويد "كثيرون، إلا أنهم حادوا عن التأويل والفهم الصحيح للتحليل النفسي الفرويدي، وأنهم مذهبوا نظريته مع أنها لا تقبل ذلك، فهذه نظرية علمية متدفقة ترفض الجمود والركود، لقد تخطى " لاكان " مجال التقليد وحاول النفاذ إلى جوهر التحليل النفسي إلى صميمه يستنطقه، يبحث عن معانيه الكامنة وراء دلالاته ورموزه اللغوية سواء كان ذلك في مستوى اللاشعور أو الرغبات أو الإحباطات المختلفة، كان " لاكان " مُجدا ومُجدِدا في عمله ومنهجه معقدًا أشدّ التعقيد في أسلوبه، حتى أنه كان يرى بأن حقيقة الإنسان تكمن في أسلوبه le style c’est l’homme بالنسبة لموضوع اللغة، فإن نقطة الالتقاء أو التقاطع

بين " فرويد " و" لاكان "، فاللاشعور عبارة عن حُلم والحلم في حد ذاته يتكوّن من جمل وبالتالي هو عبارة عن لغة واللاشعور عند " جاك لاكان " هو أيضا عبارة عن بنية لغوية التي جعلها أساسا للتحليل النفسي عنده هذا ما أثبتته العبارة الشّهيرة الخاصّة به: اللاوعي له بناء كاللغة تمامًا.

- **خلاصة:**

لا يزال موضوع المنهج والمنهجيّة محلّ نقاش ، وهذا راجع لأهميتهُ، فمنذ أكثر من قرن من الزّمن تبنّى العلماء المنهج العلمي وطبّقوه في مختلف فروع العلوم الاجتماعيّة والإنسانية .هذا ما يُبرز قوّة أو سلطة المنهج على المواضيع المعالجة من جانب وضرورته من جانب آخر ، لأنّ البحث في هذا المجال قد يأخذ أشكالا متعدّدة وحسب المنهج المتّبع، كما أنّ المواضيع وعلى تنوّعها يبقى الإنسان هو المستهدف بالبحث، كما أنّ ثمة علاقة وتفاعل بين الملاحِظ والموضوع الملاحَظ وهذا ما قد يسبّب عائقا ابستيمولوجيّا لدى الباحث نفسه ، كونه يوجد ضمن حقل الدراسة وليس خارجا عنه.

- قائمة المراجع:

- المراجع العربيّة:

- الموسوعات:

1. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الموسّعة، مؤسسة الشعب، القاهرة، مصر، الطبعة 02، 1972.
2. م.روزنتال وب.يودين، الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والآكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الخامسة ، 1985.

- الكتب:

1. أحمد عيّاد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
2. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996.
3. أكرم حجازي، النظرية الاجتماعية، الموجز في النظريات الاجتماعية، التقليدية، والمعاصرة، منشورات كلية الآداب، اليمن.
4. أنطوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصُياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.
5. ابراهيم أبراش، المنهج العلم وتطبيقاته في العلوم الاجتماعيّة، دار الشروق للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، 2009 ، (مرجع الكتروني).
6. ادغار موران، إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، 2009.
7. الدراجي زروخي، إشكاليات أساسية في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013.
8. بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلالي، محاضرات في المنهج والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 2009.

9. بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني، مدخل لمناهج البحوث الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

10. ثامر إبراهيم محمد المصاورة، البنيوية بين النشأة والتأسيس، دراسة نظرية، مكتبة صيد الفوائد، 2004.

11. جازية كيران، محاضرات في المنهجية لطلاب علم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2016.

12. جان بياجي، البنيوية، ترجمة عارف مُنيمنة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الرابعة، 1985.

13. جورج غورفيتش، دراسات في الطبقات الاجتماعية، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

14. جون سكون، خمسون عالما اجتماعيًا أساسيًا، المنظرون المعاصرون، ترجمة محمود محمد حلمين، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

15. حجيلة رحالي، الوجيز في المنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015.

16. حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات دحلب، 1993.

17. خالد حامد، مدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية، 2012.

18. رجاء وحيد دويدري، البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارساته الفعلية، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر، طبعة سنة 2008.

19. سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، الطبعة الثانية، 2010.

20. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة للنشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1980.

21. طاهر حسو الزيباري، أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.

22.عامر مصباح، منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية 2010.

23.عبد الله شلبي، علم الاجتماع، الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، 2008.

24.عبد الغني عماد، منهجية البحث في علم الاجتماع: الإشكاليات، التقنيات، المقاربات، دار الطليعة للبحث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.

25.عبد الرحمان صالح بابكر، المختصر في البحث العلمي ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.

26.عبد الرحمان بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت، 1977.

27.عبد الفتاح محمد العيسوي، عبد الرحمن محمد العيسوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية، مصر.

28.عبد الباسط المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.

29.عبد الحكيم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدّمه، دار المعارف، القاهرة، طبعة 1980.

30.عبد الله شلبي، علم الاجتماع، الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، 2008.

31.علي معمّر عبد المؤمن، البحث في العلوم الاجتماعية: الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الطبعة الأولى، 2008.

32.عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

33.عمر مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثالثة، 2010.

34.غازي الصوراني، مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غزّة، الطبعة الأولى، أكتوبر، 2018.

35.فضيل دليو، مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار هومة، 2014.

36.فؤاد إسحاق الخوري، مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون، دار السّاقي، بيروت، لبنان، 1992.

37. كريمة صافر، مقدمة في علم الاجتماع، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017.

38. كمال دشلي، منهجية البحث العلمي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حماة، سوريا، 2016.

39. لمياء مرتاض نفوسي، ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية، دار هومة، الجزائر، 2015.

40. محمد مزيان، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ، 1999.

41. محمد زيان عمر، البحث العلمي، مناهجهُ وتقنياتهّ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الرابعة، 1983.

42. محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 1991.

43. محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، 2007.

44. محمد سعيدي، الأنثروبولوجيا مفهومها وفروعها واتجاهاتها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

45. مصطفى خلف عبد الجواد، نظرية علم الاجتماع المعاصر، دار المسير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2009.

46. مصطفى السعدني، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر، 1987.

47. منصور مرقومة، الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) المنهج والموضوع، منشورات مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السّلم ، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، (د.س).

48. يمنى طريف الخوري، مشكلة العلوم الإنسانية تقنينها وإمكانية حلّها، مؤسسة هنداوي للعلم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.

49. يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007.

- **المراجع بالفرنسيّة:**

- **les Dictionnaires**:

- André Akoun et pierre Ansart, Dictionnaire de sociologie, Edition seuil, Paris, 1999.
- Dictionnaire Larousse, Librairie Larousse, France, 1988.

- **les ouvrages:**

- Anne Jourdain et Sidonie Noulin, Sociologies contemporaines, La théorie de Pierre Bourdieu et ses usages sociologiques , Armand Colin, Paris, 2012.
- François Dépelteau, La démarche d'une recherche en sciences humaines, de la question de départ à la communication des résultats, de boeck.
- Madeleine Grawitz, Méthodes des Sciences Sociale, Dalloz, cinquième éditions, France, 1981 .
- Maurice Angers, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines CASBAH- Alger 97/CEC Québec 1996.